د. جمال البدري

الغضب
في الشارع العربي



دار النفائس

بسم الله الرحمن الرحيم

B 136gh

الغضب

في الشارع العربيّ



تأليف

الدكتور جمال البدري

دار النفائس

المركز الإسلامي الثقا
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله ال

الغضب في الشارع العربيّ

تاليف: الدكتور جمال البدري

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: 1434هـ ـ 2013م

ISBN 978 - 9953 - 18 - 509 - 5

نشر | Publisher

دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب 5152 ـ 14
الرمز البريدي: 2020 ـ 1105
فاكس: 009611861367
هاتف: 803152 ـ 009611810194
بيروت ـ لبنان

DAR AN-NAFAES
inting-Publishing-distribution
erdun Str - Safiedine bldg.
o.Box 14-5152
p code 1105-2020
x: 009611 861367
l: 00961 1 803152 - 810194.
irut - Lebanon

Web Site: WWW.alnafaes.com
nail; alnafaes@yahoo.com

تقديم

غضب العرب

ما اصطلح على تسميته «الربيع العربي»، فاجأ العرب وفاجأ العالم، وحتى الذين قاموا به فوجئوا بما لديهم من قوة مكنونة أو مكبوتة، وشجاعة حجبها الخوف مدَّة طويلة من الزمن؛ وهذا ما يدفع كثيراً من المحلِّلين والباحثين لدراسة هذا الحدث الكبير والمذهل، ومنهم مؤلِّف هذا الكتاب، الذي اختار أن يقدِّم دراسة علمية عن «الغضب» الذي يجتاح العالم العربي. وبما أن الدراسة علمية بحتة، وبلغة علم النفس والاجتماع، سنقدم الكتاب بلغة مبسَّطة تقديماً يشير إلى أسباب ما حدث ويحدث في العالم العربي من اضطرابات وثورات وغضب وهياج.

ونبدأ بالإشارة إلى وجود عوامل داخلية، وعوامل خارجية، تتداخل أحياناً وتفترق أخرى.

ومن العوامل الخارجية أن الاستعمار الذي تظاهر بالجلاء عن بلادنا، وأوهمنا بتركنا ندير شؤوننا بأنفسنا، لم يتركنا في واقع الحال. ومن يدرس الانقلابات العسكرية، دراسة تاريخية واقعية، ويطلع على خفايا كل انقلاب؛ يدرك دور الدول

الاستعمارية، وبخاصة الولايات المتحدة في كل انقلاب وقع في البلاد العربية.

وقد سادت لدى الولايات المتحدة في وقت من الأوقات فكرة أن التفاهم مع ديكتاتور مستبدٌ يتحكَّم بشعبه، أسهل من ضبط الشعوب على الإيقاع الذي تريده. وبخاصة أن الديكتاتور يكرهه شعبه، ويسهل عليها استبداله عندما يخرج عن الخط المرسوم له.

وهكذا خضعت معظم الشعوب العربية لسلطة ديكتاتوريين من الفاسدين وغير المؤهَّلين، وإذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظروا خراب ذلك الأمر.

وكانت وسائل الاتصال والإعلام محدودة ومنضبطة ومسيطر عليها من أعداء العرب، ويمكن للحكام طمس ما يفعلونه من موبقات ويرتكبونه من جرائم، ويساعدهم أسيادهم الذين ساعدوهم في الوثوب إلى السلطة على طمس الحقائق، فقد كان وما زال همُّ الولايات المتحدة وحلفائها استمرار سلب خيرات الأمة العربية، واستمرار تجزئتها، والحفاظ على إسرائيل، السهم الذي غرزوه في خاصرة العرب والمسلمين.

ورفع كثير من الحكام العرب شعار مقاومة المغتصب، وأوكلوا إلى جيوشهم حماية حدوده وحماية عروشهم. وهناك فرق كبير بين جيش وطني[(١)] مهمته الحفاظ على الشعب

(١) لاحظنا أن الجيشين التونسي والمصري رفضا ضرب أهلهما المتظاهرين ضد حكامهم لأن أفراد الجيش من الشعب ومهمتهم حمايته لا ضربه.

والوطن، وجيش عقدي همُّه حفظ النظام. وكلنا يذكر ما قاله أحد كبار الساسة السوريين، بعد كارثة ١٩٦٧م والتخلّي عن الجولان حيث قال: «لقد هزم العدو لأن هدفه كان إسقاط النظام، وهو فشل في تحقيق هدفه؛ لأن النظام لم يسقط، أما الأرض فيمكن استعادتها»، وذهب ذلك السياسي ولم تُسترجع الأرض.

وظنَّ الحكام والناس أن الاستقرار الظاهري استقرارٌ حقيقي، وغفلوا عما يعتمل في قلوب شعوبهم كما غفلوا عن قوتها، فأصبحت الأنظمة الجمهورية تورِّث الحكم، وأصبح القائد الملهم مقدَّساً.

فغدت المجتمعات العربية صوراً كاريكاتورية للدولة الحديثة.

فالحاكم هو الدولة وهو القانون، وبيده السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وقيادة القوات المسلحة على اختلاف أنواعها وتشكيلاتها من جيش وقوى أمن وغيرها.

وليحافظ هذا الحاكم المستبدُّ على سلطانه عليه أن يراقب كل حركة وسكنة في دولته التي غدت مزرعة له، فيُولّي الأقرباء والمنتفعين ويتركهم يعيثون في بلده فساداً، فيسرقون وينهبون ويرتشون ويعتدون من دون حسيب أو رقيب، ليستمر ولاؤهم له، ومع ذلك يراقبهم، ويراقب المراقبين مراقبون، فهو يعلم حقيقة نفسه، ويشكُّ في كل الناس..، والكل يتجسَّس على الكل، ولكل ملف يمكن فتحه ومحاسبة صاحبه عند أي شك في ولائه أو تهاون في تقديم خدماته، والسبب الحقيقي لمحاسبته ليس فساده بل اختلال ولائه.

ورضي الناس بواقعهم، قسم منهم طمعاً في مغنم، وقسم منهم خوفاً من عقاب، وبدت المجتمعات العربية كالبحر الهادئ، وغدت تكتفي من الدنيا بالملذات. وانطبق عليها ما قاله الشاعر الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتِهَا　　واقعدْ فإنكَ أنتَ الطاعمُ الكاسِي

وغاب عنهم قول الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الانفال/ ٢٥].

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء/ ٧٥].

وقد أدّى هذا الواقع إلى تخلخل المجتمعات العربية، وظنَّ بعض الناس أن الله وحده يبعث من في القبور، وغاب عنهم أن معظم البشر ينطبق عليهم «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان»، ففي فطرة الانسان شوق إلى الحرية، وشغف بالمساواة مع الآخرين، وعشق للعدل وبغض للتسلُّط، وثورة ظاهرة أو مكبوتة ضدَّ كل من يعتدي على حريتهم أو حقوقهم.

ولهذا فإننا نرى أن الثورات العربية لم تكن هي الغريبة أو المفاجئة، بل تأخرها هو الغريب والمفاجئ. لأن العربي بطبيعته حرٌّ، وبتكوينه شجاع، ولا يرضى بالذل والهوان، وكلنا يعرف المثل العربي «تجوع الحرَّة ولا تأكل بثدييها». وأظن أن التأخر إنما كان نتيجة لفداحة الظلم وإشاعة الخوف؛ مع أمل بالتحسن والإصلاح؛ لأن الحكام المستبدين اتَّبعوا مبدأً يختصره المثل العربي «جَوِّع كلبكَ يتبعْك»، وكانوا يقذفون

لشعوبهم بعظمة كلما شعروا بتململهم، وغاب عنهم أمور منها:

أن الفضائيات وتَقَدُّم الاتصالات فتح أعين المواطنين على أمور لم يكونوا يرونها أو يعلمون بها. وأن تمادي الطواغيت وَصَلَ إلى لقمة عيش المواطنين فجاعوا؛ في حين قتلت التخمة بطانات الحكام والمنتفعين(١). وكان المواطنون يرون على الفضائيات وفي المواقع على الشبكة العنكبوتية كيف تبذَّر أموالهم، ويشاهدون التقدُّم الذي حققته الشعوب الأخرى، والذي يتناسب طرداً مع تخلُّفهم بسبب حكامهم. ولم يُجدِ إلهاء الناس بما يُعرض على الفضائيات من فحش وإفساد؛ لأن كثيراً من المشاهدين كانوا يتحرَّقون شوقاً لتدمير تلك الفضائيات ومن وراءها.

وهكذا فقد أصبحت الشعوب مضغوطة كالبالون المنفوخ، وأصبح اندلاع الثورة كالذي يثقب ذلك البالون بإبرة، فلا يمكن ضبط الهواء بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

كان الوضع قبل الثورات العربية «مؤامرة كونية» على الشعوب العربية، ولم تكن الثورات نتيجة مؤامرة كما يحلو لبعض المحللين تسميتها، مع عدم إنكارنا لركوب بعض الدول الموجة ومحاولة استغلالها والاستفادة منها.

---

(١) إن ما يُصرف على الغانيات وما يُتلَف من زوائد الطعام على موائد الأثرياء يكفي لإشباع فقراء العالم العربي. ولو أخرجت الزكاة بكاملها، وعائدات الركاز، لما بقي بين المسلمين فقير.

فالعرب يعيشون في هذا العالم الذي جعلته الاتصالات قرية كونية. ولم يعد الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة متمسِّكين بالدمى التي ملَّكوها رقاب العباد لأسباب، منها:

شعورها بأن تلك الأنظمة ستنهار لا محالة لكثرة تماديها في فسادها، ولأنها ظنَّت نفسها قادرة في أنظمة ديمقراطية على تحقيق أهدافها من دون هؤلاء المستبدِّين، مهما كانوا موالين. وبعبارة أوضح: شعرت الولايات المتحدة بتنامي كُرْهِ الشعوب العربية لها، وأدركت تلك الشعوب أن حكامها عملاء يظهرون العداء للولايات المتحدة ويخدمون مصالحها. وليس من مصلحة أي دولة كسب الحاكم واستعداء الشعب. يضاف إلى ذلك الثقة المستحدثة عند الولايات المتحدة بأنها تستطيع كسب أغلبية شعبية إلى جانبها والمجيء بحكومات ديمقراطية موالية. فالديمقراطية ليست نظاماً مثالياً، ولكنها النظام الأقل سوءاً بين الأنظمة السائدة[١]. وذلك لأن المال والإعلام يستطيعان إيصال من يتولُّونه إلى الحكم. ومع ذلك تبقى الحرية أغلى شيء في النظام الديمقراطي.

إن الأنظمة الغربية الديمقراطية تعطي المالكين حقَّ التصرُّف بما يملكون، ولكنها تعطي العاملين حقوقهم بموجب

---

(١) من مساوئ الديمقراطية أن رئيساً كأوباما، لكي ينجح في الانتخابات، يسعى إلى إرضاء مؤيدي الإجهاض (زناة وعاهرات) والمثليين جنسياً (شواذ) والمتأمركين (من أصول غير أميركية)، وذلك لكي يصوتوا له في الانتخابات.

الأنظمة التي ترعاها الديمقراطية. فالرأسماليون يملكون ويستفيدون ويفيدون. أما في الأنظمة الشمولية فتقول الدولة للشعب: أنت المالك؛ وفي الواقع فالمستفيد هم الحكام وأقرباؤهم والمديرون المقرَّبون من الانتهازيين والمخابرات وغيرهم.

وقد أدَّى ازدياد السكان، وعطالة الشباب إلى تولُّد شعور لديهم أنهم أموات في الحياة، وتساوى عندهم الموت والحياة، فهم يرون أنه لا شيء عندهم يخسرونه؛ لأنَّهم لا يملكون شيئاً، ولا حتى كرامة الإنسان. ولذلك: لن تهدأ الشعوب التي ثارت حتى تصل إلى غاياتها مهما كلفها الأمر. وعلى الحكام الجدد أن يتنبهوا لهذا الأمر، وعلى الذين ما زالوا يكابرون أن يرحموا أنفسهم وجماعاتهم قبل رحمة شعوبهم.

أمَّا الذين لم يشملهم الزلزال، فلا يظنون أنفسهم بمنجاة منه؛ إلا إن تداركوا أمورهم بإصلاحات حقيقية غير كاذبة ولا مخادعة.

وفي الختام أتقدَّم بالشكر الجزيل إلى الدكتور أسعد السحمراني الذي راجع مسودة الكتاب قبل طبعه، وكانت له ملاحظات قيِّمة..، وأشكر الدكتور جمال البدري مؤلف الكتاب على سعة صدره وأخذه بالكثير من الملاحظات التي زادت البحث دقَّةً وثراءً.

ولا ندَّعي لهذه الدراسة الإحاطة والشمول، وحسبها أنها

فتحت الباب أمام الباحثين لدراسة الثورات العربية، وعوامل الغضب في الشارع العربي الثائر، فالقضية بدأت، ولا أحد يعرف متى ستنتهي، ولا كيف ستنتهي.

وربما كان من المناسب إنشاء مراكز أبحاث متخصصة بدراسة الثورات العربية المعاصرة، لاستخلاص الدروس والعبر منها في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، ولاقتراح حلول لنتائجها وآثارها.

احمد راتب عرموش

مقدمة

هذه الدراسة قراءة لرصد سكيلوجيا الشارع العربيّ (المعاصر)، وقياس حالة الغضب التي تقود الحراك الاجتماعي الفردي والجماعي بين السلطة والمعارضة، من خلال أحداث الربيع العربيّ، للتعرف على «النوع والكم» لدى الطرفين، إستناداً إلى الاجراءآت والفعاليات المتبادلة بين النقيضين.

نحن نقدِّم دراسة علمية من الميدان، ونتعامل مع الأحداث لاستخلاص نقاط الضعف ومراكز القوة في مجريات الصراع، لرسم إيقاع الحركة والحراك.

إنّ خصوصية هذه الظاهرة التي لم يشهدها (العالم) منذ الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ميلادية، وسنبحث عن خصوصية هذا (الصراع) كونه في منطقة شديدة الحساسية للتطورات، ففيها جملة عوامل داخلية وخارجية.

ولعلَّ من خصوصية هذا الصراع المفتوح (التوقيت) الذي انطلق منه وفيه.

ونعني به (يوم الجمعة) الذي كان الميقات الأبرز من أيام سنة ٢٠١١م وما بعدها.

لقد شكَّل (يوم الجمعة) في مسارٍ ما اصطلح عليه في

الإعلام السياسي بثورات الربيع العربيّ حدثاً تاريخياً سياسياً، حتى إنّ ساخرين سياسيين رأوا (تصميم) تقويم لا يذكر فيه يوم الجمعة، الذي طفق يؤرّق بعض الحكام.

ويوم الجمعة كغيره من أيام الله، إلّا أنه كان أكثر الأيام التي تفاعلت مع سكيلوجيا المواطن في ديارنا في الآونة الأخيرة، وربما في المرحلة الحركية القادمة، نظراً لتداخل (المُقدَّس) في الماهية التاريخية للزمان ولواقع الإنسان في منطقتنا العربية. إنَّ (يوم الجمعة) ليس الميقات والتوقيت الذي تلاحقت فيه بداية مراحل مترابطة بشكل (عفوي) جماعي، فكشف عن حقيقة صراع النوع والكمّ في الإنسان العربيّ المعاصر (وسيلة وأسلوباً وغاية) داخلية وخارجية، ورسمت حسابات استراتيجية في التعامل مع المنطقة، مهما كان المراد من هذا التعامل: اقتصادياً وثقافياً وإعلامياً؛ بل وحتى (عسكرياً).

إنَّ بعض المحلّلين رأى في (الربيع العربيّ) هَبَّةً وفورةً مرتبطة بأيام معدودات، وبعضهم رآها ظاهرة عاصفة... وآخرون نسبوها لعوامل داخلية مرتبطة بالخارج... ومن خلال رصد تراكم الأحداث نستطيع القول:

إنَّ ما سُمِّي بثورات الربيع العربيّ، هو مصطلح سياسي، وليس مصطلحاً سياسياً استراتيجياً، بمعنى أنَّ لكلّ حدث موضعه الخاصُّ ضمن الموقع العامِّ، فهو ظاهرة، لكنها غير عابرة للحدود القومية، إنما يكمن سرُّها في ناحيتين:

الأولى: نسبة الظلم الاجتماعي السياسي للنظام الحاكم.

وكي لا نترك الأمور معلَّقة فإنَّ نسبة الظلم تقاس بمقدار تواجد (سجناء رأي سياسين) من (غير المجرمين) في السجون، فكلَّما ازداد العدد، فهذا مؤشِّر على تنامي الظلم الاجتماعي السلطوي، ووجب البحث عن (حلٍّ) عملي.

الثانية: افتراق التلاقي بين الحاكم والشعب، افتراقاً استراتيجياً، حتى وجد (المواطن) نفسه أنه هامشي غير منتم، وعدم الانتماء يخلق زعزعة في الولاء، خصوصاً وجود حكَّام قريباً من الشعب في تفاصيل حياتهم اليومية، لا تفصلهم المكاتب والحُجَّاب؛ بل هم بأنفسهم يمشون على أرجلهم ويتفقَّدون ويسألون عن الأحوال.. في الأسواق والمزارع والمصانع والشوارع والمنازل. وهكذا كان يوم الجمعة مهمازاً للحراك، أمَّا نتائج الحراك فلسنا بصددها في هذه الدراسة.

ولـمَّا كان لكلِّ حدث تاريخي أسباباً ونتائج شتَّى، فهذه الدراسة ركَّزت على مكنونات الأسباب؛ من خلال الإجابة على أسئلة مرتبطة بزمان ومكان وماهيَّة إنسان الحدث، الذي سنتناوله، وهو المشاركة الميدانية في ظاهرة الصراع بين السلطة والمعارضة. إنَّ الحديث عن مكنونات الإنسان الغاضب الرافض سيكون متداخلاً في كثير من الأحيان. وليس بالضرورة أنْ يأتي متسلسل التراتبية في العرض. أمَّا الأفق فنعرفه من رصد الوسائل والأساليب وما رافقها من حرب نفسية ودعائية، وتوظيف للجغرافية السياسية، والتاريخ الاجتماعي، والدِّين. وبين العمق والأفق يكون رصد أخطر

(أدوات) هذه الثورات؛ بل هي الوسيلة والغاية معاً؛ أيْ: شخصية الإنسان المشارك بالحدث قبل أنْ يكون ثورة، ومدى فاعلية (السلطة) في التعامل مع هذا الحدث (الجنين) قبل أنْ يولد وبعد الميلاد، ثمَّ مدى استغلال الحدث من قبل تجّار السياسة والدِّين، عند ذاك سنتعرَّف على نسب النوع والكمّ الغاضب، لكلِّ طرف مباشر أو غير مباشر. وسيكون التركيز على المنجز في الميدان؛ لا على المفترض في قابل الأيام، لعلَّ هذه الدراسة المتواضعة، تكون (فاتحة) لقيام علم جديد متخصِّص في دراسة الثورات العربية برؤية موضوعية، والله سبحانه وليُّ التوفيق.

المؤلّف

الدكتورجمال البدري

مختصّ بالحركات السياسية والاجتماعية

الحديثة والمعاصرة في الشرق الأوسط

drjamal1994@gmail.com

[١]
علم نفس الغضب[١]

إنّ دراسة أيَّة ثورة، أو انتفاضة، أو حركة، تعتبر ظاهرة تاريخية، وخاصَّة في المنطقة العربية، لا يتمُّ من غير معرفة مبادىء علم النفس إزاء هذا الحدث؛ لأنَّ دراسة الحاجات النفسية للأفراد التي تؤثِّر على السلوك؛ يمكن أنْ تفسِّر لنا لجوء الأفراد إلى التمسّك بالصورة النمطية التي تطوَّرت تاريخياً وكيف يمكن التأثير على الأفراد، بحيث يمكن التأثير على الصور النمطية التي يتصرَّفون على أساسها[٢]. ولأنَّ ثورات

---

(١) إنّ علم النفس العام يمكن تعريفه بأنه: الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحيّة، وخصوصاً منها الإنسان، وذلك بهدف التوصُّل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبُّؤ به والتحكُّم فيه لاحقاً وفق معايير علمية وعملية. وعلم نفس الغضب، صنف جديد يعبّر عن خصوصية الغضب في الإنسان بين التحدّي والاستجابة والتأثير الفاعل، لذا يرتبط بعلم النفس الاجتماعي، الذي هو جزء من علم النفس العام. للتفاصيل ينظر: جان فرنسوا دورتيه: معجم العلوم الإنسانية، ترجمة الدكتور جورج كتورة، كلمة للنشر، والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٦٢٥ و٦٣٣.

(٢) الدكتور سليمان صالح: وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، =

العرب لصيقة بشخصياتها، كما هي الأنظمة الحاكمة، فلا يمكن دراسة هذه الأنظمة من دون دراسة الحاكم، بمعنى أنّ سكيلوجيا السلطة نقيض سيكيلوجيا الناس.. على الأقلّ في مرحلة الحركة المنتفضة ضدَّ الظلم والفساد والقهر؛ ثأراً للكرامة المثلومة وللحريَّة المغيَّبة.

يقول علماء الطب النفسي إنَّ الحاجات العملية الأساسية للسلوك هي:

- الكفاح ضدَّ مجهول: أيْ: الحاجة إلى تحديد الذات.
- الكفاح ضدَّ معلوم خاصٍّ: أيْ: الحاجة إلى التحريض.
- الكفاح ضدَّ معلوم عامٍّ: أيْ: الخوف، ما يستوجب الحاجة إلى الأمن[1].

ودرجة ومستويات هذه الثلاثية تختلف من كائن بشري إلى آخر.. إلا أنها تكون في الشخصيات الحاكمة (طردية ومركَّبة). بمعنى: أنَّ الحاكم عموماً يعكس حاجته المتزايدة لتحديد الذات بوضع (فلسفةِ حُكم) هي انعكاس شخصيَّته، ولعلَّ ذلك ظهر جليّاً بقول الملكُ لويس الرابع عشر: (أنا الدولة والدولة أنا). فيما تكون الحاجة إلى التحريض بادية من

= دولة الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح، ٢٠٠٥، ص٤١. وكذلك: الدكتور علي عجوة: العلاقات العامة والصورة الذهنية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧، ص٦، ٨.

(١) الدكتور روبرت آردري: كتاب الإقليم، لندن، منشورات ستوك، ص٧٨.

خلال الحروب التي يشنُّها هذا الحاكم ضدَّ خصومه في الخارج، أو في المعارك الداخلية ضدَّ المعارضة. أمَّا الخوف والحاجة إلى الأمن فهو عامل مشترك لأغلب الحكام غير الشرعيين المفروضين على شعوبهم، فتظهر في دولهم نزعة التسلُّط البوليسي.. وتكثر أجهزة الأمن والمخابرات لمطاردة (الوهم المفترض)، ما يؤدِّي إلى خلق عداوات لا تنتهي بسهولة في (المرايا العاكسة)؛ لتكون التعويض للحاكم الذي يكون شاكَّاً حتى بالطعام الذي يتناوله من يد (زوجته المخلصة). فيما يسمى بـ: فوبيا السلطة ووهم المؤامرة الدائمة.

لذا: سنبدأ بعرض أنواع شخصيات (الحكام)؛ لنتعرَّف منها بادي ذي بدء على المداخل والمخارج في ضوء المعطيات.

إنَّ شخصيَّة الحاكم عامَّة تقع ضمن أربعة تصنيفات أساسية، ستدلُّنا على معرفة (تضاريس) النفس التي بالنتيجة بِيَدِهَا مصير ملايين المحكومين. مع التذكير، أنَّ هذه الأحوال تسود في الأنظمة المستجدَّة على تجارب الحكم، أكثر من غيرها، ولهذا نجدها غالباً في الأنظمة (الغوغائية)[1] في دول العالم الثالث،

---

(١) الغوغائية: وتسمى الديماغوجيا. وهي استراتيجيا سياسية للحفاظ على السلطة من خلال خطاب عاطفي فوضوي، يتسبب في ردود الفعل المتوقعة، والأحكام المسبقة والمخاوف في أوساط الجمهور. والديماغوجي عادة خطيب يستخدم قدرته على نشر الكراهية، الخوف، جنون العظمة بين الجمهور. أول من استخدم =

بينما تتهافت النسبة إلى الصفر في الأنظمة (الراسخة) عادلة الأركان ذات التقاليد المؤسسية.

• **الشخصية العصابية**[1]: وهي الشخصية المتعكِّرة المزاج، المحتقنة المتشائمة من كلِّ شيء... وهكذا نمط شخصي يعمل - من حيث يدري أو لا يدري - على إشاعة روح الحرمان والاضطهاد والقهر، حيث يستطيع بما يملكه من صلاحيات وسلطان أن يجعل مساحة هذا العصاب يسود على الشعب، فيكون الإخفاق سيِّد الموقف، ويكون الواقع مليئاً

= مصطلح الغوغائية الخطيب اليوناني: أرستوفان. في اللغة العربية الغوغاء هم: سفلة القوم، أصحاب الصياح والزعيق بصوت عالٍ. أصل معناها (الجراد) الطائر.

من أبرز ظواهر الغوغائية ما نراه من حراك الجماعات المتسترة بالدِّين في الشوارع العربية اليوم.

(١) العصابية: مرض نفسي وظيفي يسهل فيه استثارة الشخص، حيث ينفعل بالأحداث التافهة، ويشعر دائماً بالتهديد والتشاؤم وعدم الاستقرار، ويميل إلى المبالغة والتطرف. ويعتبر العصاب: الشرط الأساسي للقلق المرضي، فالقلق الطافح هزيمة ذاتية وخبرة شخصية للفرد يطرحها على العالم، ويتولَّد نتيجة استعداد ذاتي للانهزام. والشخص العصابي عادة ما يهرب ويتجنب المواقف التي تثيره وتثير القلق لديه، فيتحول إلى شخص انسحابي يميل إلى تجنُّب المشاكل بدلاً من مواجهتها، ومتفرِّج على الحياة بدلاً من أنْ يكون مساهماً فيها. وهو لا يستطيع التعبير عن مشاعره الحقيقية ولا يستطيع معارضة أحد، ويرغم نفسه على قَبُول أشياء لا يحبُّها، كما لا يستطيع التعبير عن الحبّ.

بالرعب والخوف والظلامية؛ خصوصاً في فترات الأزمات الساخنة والتحدِّي والصراع. وأخطر ما في هذه الشخصية أنها تورِّث هذه السلبيات الجماعية للأجيال اللاحقة، فتطبعها بطابعها العبثي غير المنتج في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة... فتكون النكبات الوطنية، وتتعرض البنية الاجتماعية لقلق جماعي لا يزول بسهولة؛ بل يبقى كضريبة تنال الشعب لعقود من الزمان، ما يعطِّل قدرات الوطن، ويهمِّش قدرات الشعب بأعمال لا تليق بتاريخه الذي كان مزدهراً في الحضارة الانسانية، فيعيش الناس الماضي لأنه كان (أفضل) من الحاضر.

• **الشخصية الفصامية**[١]: هذه الشخصية (فقيرة الثقافة) وتعيش في عالم شبه منعزل وغير واقعي، وتؤمن بيوتوبيا[٢] المثال والميثولوجيا[٣]، فتكون خطيرة في فكرها وأفقها بما -

---

(١) الشخصية الفصامية: وتسمى: شيزوفرينيا، وتتكون من مقطعين، وفي مجملها تعني العقل المنقسم. لكن هذا لا يعني انقسام العقل الى أقسام؛ بل يعني أنّ الوظائف المختلفه للكائن البشري من تفكير وعاطفة وسلوك وحركة وإدراك وإحساس، تفقد الترابط فيما بينها، والذي يؤهلها بأن تؤدي وظائفها في انسجام طبيعي تلقائي متكامل، وأحياناً يكون الفقدان مؤقّتاً عارضاً، فيزول نتيجة تناول بعض العقاقير، وأحياناً يبقى لفترة طويلة بالسنين.

(٢) اليوتوبيا: مصطلح يدل على مجموعة من المفاهيم والمعاني المتعلقة بالقيمة المطلقة، التي ينبغي أن يكون عليها الوضع السائد.

(٣) الميثولوجيا: عالم الأساطير.

ينعكس على مجمل السلطة، فتسود المجتمع ظواهر التخلّف والأساطير والشعوذة والسحر والخرافات الشعبية، ويترجم ذلك على مناهج التربية والتعليم والإعلام والعلاقات العامَّة، غير العقلانية، وغير الموضوعية، وبالتالي غير العلمية... إنَّ الشخصية الفصامية عندما تتولَّى مسؤولية السلطة تكون معضلة من معضلات التأريخ الإنساني أمام الحاضر والمستقبل... فتدخل عدَّة أجيال في نفق من الغيبوبة الطوطمية[1]، فيموت الإبداع الثقافي والفكري والفني الفردي والجماعي للشعب، ويتحوَّل إلى حالة مثل (القطيع) الذي لا يفرّق بين الراعي والرعية؛ كالأغنام.

• **الشخصية المكتئبة**[2]: وهي الشخصية المتناقضة في كلٍّ شيء، فتكون أقرب إلى الشخصية الهَوَسِيَّة (من الهَوَس) الصاخبة، تقول أكثر مما تفعل، وتلهو أكثر مما تَجِدُّ... اتِّكالية تبريرية غوغائية سطحيَّة مضطربة تواجه صعوبة في اتخاذ القرار، ويؤدي سلوكها السلطوي إلى انحدار حضاري

---

(١) الطوطمية: هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس، تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي قد يكون حجراً أو طائراً أو ظاهرة طبيعية...

(٢) الشخصية المكتئبة: هذه الشخصية هي التي تعاني من الاضطراب النفسي والعسر في المزاج كجزء من الاضطرابات العاطفية، بسبب فقدان الأمن العاطفي مع عدم القدرة على التعامل مع الواقع برؤية متوازنة، فتكون السوداوية هي الأساس في السلوك مع الذات والآخرين.

مستمر... ومهما كان لها رصيد من الإمكانات تكون عاجزة عن تحقيق حاضر سعيد للفرد يليق بماضيه المشرق؛ فضلاً عن المستقبل، لهذا تصاب بعقدة الذنب، وهذا الشعور هو نواة شيوع الاكتئاب الاجتماعي والسياسي بالنتيجة.. لذا يوصف هذا النموذج: بالشخصية المنتحرة بالتقسيط، توزِّع اجترارات الانتحار التدريجي على مسارب ونواحي شؤونها الحياتية في السياسة والاقتصاد والفنون والعلوم والآداب، لذا تلجأ إلى المال العام (خزينة الدولة) لشراء الذمم بحجَّة دعم (المخلصين من أبناء الوطن الذين قدَّموا خدمات جليلة) لتغطية فشلها الهيكلي والفكري والسلوكي. وتكاد تكون من أكثر الشخصيات شيوعاً بين شخصيات المسؤولين من الدرجة الثانية والثالثة في القيادة، وهي تحيط بالحاكم وتمنع عنه كلَّ (مبدع أصيل) فتكوِّن الدائرة الفاسدة الظالمة، وهي أحد أسباب رفض الحاكم الفاسد. ولهذا يسارع المذكور إلى (استبدال) بعض هؤلاء عند قيام الثورة عليه... كإجراء (ترضية) علني.

- **الشخصية السايكوباثية**[1]: وهي أكثر الشخصيات شيوعاً

---

(١) هي الشخصية المضادة للمجتمع، والتي تبدأ في التبلور في سنٍّ مبكرة من الطفولة أو بداية المراهقة، وتكون معظم أفعالها مضادة للمجتمع بارتكابها سلوكيات إجرامية أو شاذة تتناسب مع عمر الشخص الذي يُعاني من هذا الاضطراب في الشخصية، وتستمر في اختلال هذا الشخص في الحياة بوجهٍ عامٍّ.. حيث تؤثر على مختلف مناحي حياته: العملية الفردية، والزوجية، والاجتماعية. =

كلّما تقدّمت الحضارة، ولها علاقة مباشرة بطفولة الفرد، ودرجة الحنان الأسري، الذي حصل عليه من الأب والأم، وخاصّة الذي ناله الفرد في سنوات عمره العشر الأولى. هذه الشخصية خليط من عدّة مكوّنات، فهي مركبّة، وعلاجها شبه مستحيل، وتميل إلى العدوان والغدر والكذب وقلّة وخز الضمير، حتى مع أقرب المقرّبين[1]. وأيّدت المسوحات الميدانية أنّ هؤلاء الأشخاص السايكوباثيين ينتمون إلى بيئة منزلية ينقصها الحبّ ويعتريها الحرمان الطفولي، ما يجعلهم تحت وطأة النوازع الملحّة واللجاجة في طلب الأشياء، والرغبة العميقة في التعالي والسيطرة والاستبداد. ومن جهة أخرى تمتاز هذه الشخصية بامتلاء الأوهام والخيال، وحبك الأقاويل محلَّ الحقيقة في المواقف. كما تعتور الشخصية السايكوباثية أفكار العظمة، ويلجأ صاحبها إلى تمجيد ذاته... باقناع الوسط من حوله (بعظمة) إحساسه القائد الفذّ.

هذه الشخصيات الأربع توجد في مراكز صناعة القرار، وفي

= ونظراً لأهمّيتها وسعتها في حياتنا عدّها بعض المختصّين من أقدم الشخصيات ذات الاضطرابات النفسية في التاريخ. ويعتبر قابيل قاتل أخيه هابيل بن آدم، من أصحاب الشخصيات السكيوباثية.

وكذلك من أمثلتهم شخصيات (إخوة) يوسف عليه السّلام، وقِس على ذلك النمط الخاصّ والعامّ.

(١) الدكتور ريكان إبراهيم: النفس والعدوان، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧م، ص٤٢.

قواعد النظام السلطوي، الذي كثيراً ما يكون انعكاساً لأحد أنماط هذه الشخصيات... وهناك شخصيات أخرى تقع بين الأنماط الأربعة أعلاه؛ لكنها لن تخرج عنها إلا بالقليل. وكي لا تضيع الثورة وسط التفاصيل عليها التركيز على عقل الحاكم؛ أيْ: منطقة الناصية في مقدمة الدماغ، وتُسمَّى بالفصّ الأمامي، التي تكمن فيها غالبية مكونات الشخصية البشرية[1]. لهذا توضع الملفات الطبية للحكّام في أماكن خاصّة محميّة، لا يطّلع عليها سوى الطبيب المختصّ والمسؤول على ملف الحاكم الشخصي؛ والذي فيه المعلومات الطبية عن الحاكم. ومعرفة (أسرار) هذه المنطقة الدماغية بمثابة امتلاك مفتاح للدخول إلى تلافيف وتضاريس الشخصية (الجوّانية) وقدراتها التفكيرية والسلوكية الوراثية ومعرفة فعلها وردّ فعلها، وكذلك المتغيّرات المكتسبة الراسخة في نمط هذه الشخصية السلطوية. وكيفية تعاملها مع الأزمات واتخاذ القرار منذ كان طالباً في المدرسة. ومن هنا تبذل بعض أجهزة المخابرات جهوداً سرّية متواصلة للوصول إلى أسرارالملف الطبي للحاكم (الهدف)، لعلّ أشهرها نجاح المخابرات الأمريكية في الحصول على معلومات غير معروفة للوضع الصحّي عن مرض (كلية) الرئيس

(١) الدكتور إحسان حقي: علم الفراسة، أسرار الخلقة وإبداعها، بيروت، دار النفائس ١٩٨٦م، ص٣٩، ٧٣. ومنطقة الناصية أو الفصّ الدماغي، هي منطقة الجبهة العليا من رأس الإنسان.

السوفيتي (خروشوف) في إحدى زياراته الخارجية في عقد الستينات من القرن العشرين، عن طريق اختراق حمامه الشخصي، بعدما فشلوا في الوصول إلى ملفه الطبي. وكانت هذه المعلومة المفتاح لوضع تقدير للمدة التي سيعيشها خروشوف، لعدم الفائدة المرجوة من استمرار المفاوضات الأمريكية السوفياتية للوصول إلى اتفاقية عمل استراتيجي في عهده المنتهي، فكان القرار الأمريكي بتأجيل المفاوضات. بعد فترة ليست بالطويلة توفِّي خروشوف فعلاً وخلفه بريجنيف، فعادت المفاوضات للإدارة الأمريكية مع الرئيس الجديد (غير المريض) وعقدت معه الاتفاقية الاستراتيجية المعروفة بـ: (سالت واحد) لعام ١٩٧٢م، للحدِّ من الأسلحة غير التقليدية.

إنَّ أهم مصادر معرفة شخصية الحاكم من (زملاء الدراسة الثانوية والجامعية) الذين كانوا معه في نفس المرحلة والصفوف، إضافة للمستجدات العملية اللاحقة... كالخطابات والقرارات الصادرة عنه. وبالمقابل لدى أجهزة بعض الأنظمة (قانوناً) من الفكر الرياضي؛ يُسَمَّى قانون (الثورات قبل عصر الإنترنيت)[1] على شكل جدول، هو

---

(١) الإنترنيت: أو الإنترنات أو الأنترنيت أو الشبكة العنكبوتية بموجب تعريب مجمع اللغة العربية بدمشق، هو نظام ووسيلة اتصال من الشبكات الحاسوبية يصل ما بين حواسيب حول العالم ببروتوكول موحد، هو بروتوكول إنترنت. يربط الإنترنت ما بين ملايين الشبكات الخاصة والعامة في المؤسسات الأكاديمية والحكومية =

خلاصة دقيقة لدراسة جميع الثورات في العالم، منذ الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ ميلادية ولغاية الثورة الإيرانية لسنة ١٩٧٩ ميلادية... ومنه تمَّ استخراج قوانين ومعادلات وحالات وأنماط وشخصيات ما جرىٰ قبل وأثناء وبعد الثورة؛ بطريقة رياضية مقارنة... قلما تخطئ التقدير، ورغم ذلك تكون البداية المفاجأة: في الجمعة الكبرى؛ بعدما تمُّ التهيؤ لهذا اليوم عبر وسائل التقنية الحديثة من عالم الإنترنيت بدل الهتاف في الطرقات كالسابق، قبل ساعة الصفر.

= ومؤسسات الأعمال والأفراد، وتتباين في نطاقها ما بين المحلّي والعالمي وتتصل بتقنيات مختلفة، من الأسلاك والألياف البصرية والوصلات اللاسلكية، كما تتباين تلك الشبكات في بنيتها الداخلية تقنياً وإدارياً، إذ تدار كل منها بمعزل عن الأخرى لا مركزياً، ولا تعتمد أيّاً منها في تشغيلها على الأخريات. وأصل المفردة مكوّن من مقطعين بالإنكليزية: (Internet) البادئة inter التي تعني «بين» وكلمة net التي تعني «شبكة»؛ أيْ: «الشبكة البينية»، واللفظة دلالة على بنية إنترنت باعتبارها «شبكة ما بين الشبكات» أو شبكة من شبكات، ولا علاقة لها بمفهوم العالمية. كانت سنة ١٩٦٩م البداية العملية لظهور فكرة الإنترنيت، متزامنة مع جهود وزارة الدفاع الأمريكية ووكالة ناسا للفضاء للصعود إلى القمر. ويرى بعض الرافضين للتقنية المعاصرة أنّ حقيقة الإنترنيت هي أقرب إلى الجاسوس الأليف بين الناس. وهذا من التطرف الفكري غير المبرَّر، حتى لو كانت لهذه الشبكة، سلبيات فهي محدودة، تعتمد على الوظيفة والتوظيف الغرضي من ورائها، قياساً للإيجابيات الحضارية، كغيرها من الاكتشافات.

إذاً: هذا هو الانقلاب الكبير بين الصورتين: النمطية[1] والذهنية[2].

ويختزل مفهوم الصورة النمطية بالجماعة المسيطرة على

---

(١) الصورة النمطية: سيرد مفهوم الصورة النمطية ضمن السياق، وقد ساد هذا المفهوم بقوة بعد أحداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ ميلادية، وهو مفهوم متعدِّد التعاريف من قبل علماء النفس والسياسة والاجتماع والإعلام، خلاصته: رؤية الآخرين لغيرهم رؤية سلبية نتيجة معطيات تاريخية عملية. فتتشكل صورة مختزلة للفرد أو للجماعة، لا تزول بسهولة؛ لأنَّها الطريقة الفاعلة التي نفكِّر بها وتعبّر عن اتفاق للرأي العام حول الطرف الموضوع دراسته. وفي الغالب هي صورة سلبية نمطية مرتبطة بالتحيز الثقافي للمواقف. ومنها تتولد الأحكام على الآخرين في وسائل الإعلام... كمثال: ففي الإعلام الغربيّ اليوم الصورة النمطية للشخصية المشرقية وخاصة الشخصية العربية الإسلامية، تشكَّلت بداياتها من أساسيات الصورة المنقولة عن الشرق في حكايات ألف ليلة وليلة، القائمة على الغدر والتآمر والجنس (الحريم) والانفعال المتطرف والتبذير... زادتها مؤسسات الحرب النفسية تعزيزاً في ذهن الرأي العام الغربيّ، مع أخطاء الأفراد والحكام، فصارت صورة نمطية موروثة سلبية عن العرب المسلمين إلى اليوم، في غالبية دول الغرب وحتى في دول الشرق.

(٢) الصورة الذهنية: هي عكس الصورة النمطية. وهي صورة إيجابية ذهنية مرتبطة بالعواطف.

يسعى بعض المختصِّين في عالم السياسة والاقتصاد والتقنية المعاصرة إلى اعتبارها ثروة معنوية يمكن أنْ تحقق ثروة مادية عند التوظيف. وسيرد تعريفها المحدَّد ضمن سياق الدراسة اللّاحق.

الحكم؛ كالأقليات في الدولة (الهدف) مقابل المعارضة التي تنتمي إلى بقية السكان من الغالبية، وذلك لأنّ الصورة النمطية تعبّر دائماً عن علاقات السيطرة والتبعية وتركيب القوة، والذين يقومون بتشكيل الصور النمطية هم الذين يمتلكون القوة والسيطرة[١]. وهذا التصوّر يستند إلى إحساس بالتفوُّق والهيمنة من جانب أولئك الذين يقومون بتشكيلها، وتستخدم لتحقيق أهداف أيديولوجية (عقائدية)[٢]، هي التي تكون مدعاة لغضب المعارضة وللثورة على تلك الأقلّية الحاكمة (لا يقصد بها أقلّية دينية أو طائفية) إذا أساءت إلى التوازن (النفسي والاجتماعي والمالي). وبذلك تفقد الصورة الذهنية التي كانت من قبل، قدرتها على المحافظة على مشاعر الحبّ والتعاطف المتبادل والتأييد التقليدي لمنْ كان يحكم قبل مستجدات سلبيات الصورة النمطية.

في ضوء الصراع المرئي أو غير المرئي بين التناقضات، يولد (الجدل).

والغالب في مثل هذه الولادات أنْ تبدأ (هامشية) كصغير الشرر، ثمَّ تتضاعف كَنَارٍ في الهشيم... من الصعوبة بمكان أنْ يتمَّ السيطرة عليها بأجهزة عتيقة (للدفاع المدني) بدلالته الحقيقة ودلالته المكنية المعنوية. ومن هنا يتمُّ رسم المشهد... قبل خروج الموقف الحاسم الجديد.

---

(١) Blackwell Taylor.Land Willis.A; Publishers inc; 1999. P 41. Media Studies; Oxford.

(٢) الدكتور سليمان صالح، م.س، ص١٥٨.

[٢]
يوم الجمعة والثورة

اعتاد الرأي العام العربيّ ـ الشعبي والحكومي ـ أنْ يكون يوم الجمعة من كلّ أسبوع من أشهر عام ٢٠١١ ميلادية وما بعدها، يوماً للخروج والتظاهر الرافض للواقع السياسي لم نعرفه منذ انطلاق الثورة الفرنسية (١٧٨٩م). لذلك وجدنا أنَّ هذا اليوم التاريخي يمرُّ بمراحل مترابطة متداخلة معاً.

• **الماهيّة**: إنَّ المنطقة العربية (واحدة)، لكن أحوالها ليست واحدة في مشاكلها ومستقبلها، رغم أنَّ العدوَّ واحد، مهما حاول أنْ يضع على وجهه من أقنعة مختلفة، فلماذا نشتت جهودنا في تشخيص النوع والكمِّ بشأن ثورات الربيع العربيّ ضدَّ الأنظمة الديكتاتورية؟ ولن نستطيع ذلك إلا بمعرفة ماهيَّة هذا النوع والكمِّ في المحرّك الأساس وهو (الإنسان العربيّ). فما هي الماهيَّة؟

الماهية: حقيقة وطبيعة الأمر أو الشيء وما يقوم به، أو كلُّ ما يدخل في الجواب على منْ يسأل: ما هو؟ أيْ: بيان حقيقة الشيء وذاته التي تميِّزه عمّا سواه، وتطلق الماهيَّة غالباً على الأصول، وكما قال ابن تيمية: الماهيَّة تقديرها في الأذهان

لا في الأعيان. وهي الأمر المتعقَّل من حيث إنه مقول في جواب: (ما هو؟) يسمَّى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث اللوازم له يسمَّى ذاتاً، ومن حيث ما يستنبط من اللفظ يسمَّى مدلولاً، ومن حيث أنه محلُّ الحوادث يسمَّى جوهراً، فالماهيَّة مصطلح فلسفي قديم، تمَّ استثماره اليوم، بعد توسيع دلالاته في السياسة والاجتماع. فماذا يعني ذلك؟

للسلطة: يعني أنَّ (ماهيَّة) التقديرات والمعلومات التي يقوم عليها الموقف المستحصل من أجهزة المعلومات المختلفة عبر مصادرها السرِّية والعلنية الداخلية والخارجية. عندما تكون بين يدي صانع القرار، تتحكم (الماهيَّة) في صواب أو خطأ ذلك القرار.. وانعكاساته على تضاريس موقف السلطة، إيجاباً وسلباً. وهذا يعتمد على مقدار فهم حقيقة النوع والكمِّ في شخصية الإنسان العربيّ؛ كمحصّلة تاريخية مفتوحة الحلقات في التجربة الإنسانية المعاصرة؛ لأنَّ الخروج ضدَّ الحاكم الظالم، يبدأ عندما يفوق مستوى النوع مستوى الكمِّ، ليأتي الكمُّ لاحقاً بمعاول الهدم. لكن في نهاية الصراع سيعود النوع القائد للموقف سلباً أو إيجاباً. فهذا من قوانين الصراع الثابتة بين الخير والشرِّ، أو بالعكس. ولما كان موضوع الدراسة (الإنسان) العربيّ الغاضب: النوع والكمّ في مواجهة متغيِّرات ضخمة، فهذا يحتاج إلى فهم «تضاريس» النفس الإنسانية التي تنطلق منها قدرات (الماهيَّة) حتى لا يفاجأ الجميع بحجم

الإنجاز (التاريخي) لصناعة الحدث وكتابة المستقبل، كما حدث في تونس ومصر (الثورة) وما تبعهما ـ ولو بدرجات متفاوتة ـ لاحقاً.

للمعارضة: يعني: أنَّ القائمين بإدارة شؤون المعارضة غالباً ينقسمون إلى ثلاثة أنواع:

أ ـ **القادة** غير الظاهرين للسلطة، ويكونون غالباً في داخل البلد بشكل سرِّي.

وهم أخطر الأنواع، ومسؤولية متابعتهم تقع على أجهزة المخابرات غالباً.

ب ـ **الوسطاء**: وهم حلقة الوسط والوصل بين القادة والمعارضة الميدانية في الداخل. والسيطرة على هؤلاء تؤدِّي إلى تفتيت المعارضة وشقِّها، أو بالعكس؛ تحصل المعارضة على وقودها والدعم المغذِّي لنشاطها، مادياً وإعلامياً وسياسياً. وتتمُّ متابعة هؤلاء عبر واجهات (عملاء المخابرات) الموثوقين للسلطة، وليس عبر ضباط المخابرات. والسبب أنَّ هؤلاء المعارضين لديهم خبرة عملية في معرفة الوسائل والأساليب ما يجعلهم قادرين على كشف (المندسِّين بينهم). وحرق عميل للسلطة خير من حرق ضابط مسؤول، محترف التكوين.

ج ـ **الميدانيون**: أيْ: الذين يجيدون التواجد والحركة في الميدان والشارع.

وهؤلاء (أصحاب قضيَّة) نجح قادةُ ووسطاء المعارضة

بإنزالهم إلى الميدان بعد كسر حاجز الخوف. . . ويمتازون بخاصّيتين متلازمتين:

الأولى: ليس لديهم غالباً ما يخسرونه، وهذا عنصر قوة فيهم، لذلك لا يخشون مواجهة السلطة رغم كلِّ وسائل التخويف والترهيب؛ بل يريدون إثبات قدراتهم الذاتية أمام أنفسهم، بعدما خسروا (كلَّ) شيء[1]. وأضعف سلطة هي التي تواجههم بالقوة المباشرة، فذلك يزيدهم تحدِّياً؛ لأنَّ قوة السلطة تحمل إليهم دليل وجودهم (المفقود). فيتشكَّل في داخل كلِّ فرد منهم شعور المنتصر على (السلطة)؛ أيْ: فرد مقابل مجموعة. وهي معادلة غير منطقية لكنها في الحشد الميداني تكون منطقية. وأضعف مسؤول في السلطة هو الذي لم يسبق له النزول إلى الميدان فيطلّ من برجه العاجي بغرور.

الثانية: ما يستجدُّ عليهم من (تضحيات) بعد ذهاب حاجز الخوف من السلطة. وهذا يرتِّب لهم حقوقاً شرعية، فهم

---

(١) في تاريخنا العربيّ الإسلامي ظهر نوع من الكم البشري من العوام والجهلة الذين دفعتهم الظروف المادية القاسية إلى الارتماء في (الملل والنحل) المختلفة، فقاموا بالثورات ضد سلطة الخلافة: الأموية والعباسية، خصوصاً في الكوفة. بعضهم كانت له قضية، وبعضهم كان من المدفوعين بنظام عدوى القطيع، وبعضهم أراد التعبيرعن مكنونات ثقافية، وغيرهم كان احتجاجه غير مفهوم حتى الآن.

للتفاصيل ينظر: هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام، (ترجمة رائد الباش)، منشورات الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٣م، ص١٢، ٢٠.

يؤدون عملاً غير منظور، مقابل مواقف لا بدَّ أنْ تكون منظورة وملموسة لاحقاً. إذاً: كيف ستواجه السلطة الثورة. وكيف ستديرالمعارضة أجنحة الثورة ضدَّ السلطة؟

بالنسبة للسلطة، لديها ثلاثة اجراءات:

١ ـ **سابقة**: قبل الثورة. (تقديرات موقف غالباً غير دقيقة ومتأخرة).

٢ ـ **مترافقة**: مع الثورة. (في أغلب الأحيان ردّ فعل بوليسي غير حضاري).

٣ ـ **لاحقة**: بعد الثورة. (في حالة عدم السقوط عملياً، تلجأ إلى الانتقام).

أما المعارضة فلديها اجراء مركزي واحد: الثورة.

ولنبدأ بفعل المعارضة، قبل معرفة ردوود فعل السلطة، الذي سيُبنى على الفعل الأول، لا محالة.

إنَّ المعارضة ليس أمامها سوى النجاح في ثورتها، لهذا تسعى بكلّ الممكن إلى ديمومة هذه الثورة، ومن خلال رصد ومتابعة ما جرى من أحداث في ثورات الربيع العربي، وجدنا أنّ قيادة المعارضة، سواء أكانت في الداخل أو في الخارج، فإنَّ الثورة تمرُّ بمراحل متسلسلة، كلُّ مرحلة تظهر حركيّاً ميدانياً في (يوم الجمعة) غالباً.

وبادي ذي بدء: بالكاد يبدأ التحرّك ولَمّ الساخطين ضدَّ السلطة في حشود (نواة) في ضواحي العاصمة (المنسية)، أو في مدينة بعيدة نسبياً عن العاصمة. مع الحفاظ على فعاليات

تعطي الثورة وجودها الرمزي المسالم؛ بل إنّ السّلام جزء أصيل من مكونات هذه (الثورة) لكسب تعاطف الآخرين في الداخل والخارج. ولإدانة السلطة إذا ما استخدمت السلاح ضدَّ (متظاهرين) ليس لديهم سوى أصواتهم، مطالبين بما يتَّفق والدستور، فالمساس بهم يعدُّ جريمة سياسية وقانونية خطيرة (محلِّية ودولية). وبذلك ينتشر الخبر في أغلبية مدن الدولة قبل بدء المواجهة. وهنا لعبت تقنية الاتصالات كالإنترنيت، والفيس بوك، وتويتر، دورها التحريضي في التواصل السريع والأمين (بعيداً) عن الاحتكاك برجال الأمن في الشوارع كما كان في السابق. وهكذا يعرف الناس ببداية الصراع. إنَّ المقارنة أول تحقيق مكتسب للمعارضة ضدَّ السلطة؛ بل هو اعتراف (غير مباشر) بوجود المعارضة قبل نجاح الثورة.

إذاً: لماذا يوم الجمعة في ثورات الربيع العربيّ؟

الكثيرون ظنوا أنَّ الخروج يوم الجمعة بسبب وجود جموع (المصلِّين) في المساجد فقط، هذا في الظاهر، لكن ليوم الجمعة ـ هنا ـ دوراً أكبر:

ـ **إنَّ يوم الجمعة للمسلمين فرصة للتجمّع**، وشحن الإيمان بعد الخطبة في المساجد. وبالمقابل هو يوم عطلة (لغير المسلمين) ممَّا يتيح للجميع الاجتماع والحشد والتضامن للخروج لمختلف الأسباب. فهو اجتماع شعبي عامٌّ مشروع.

ـ **إنّ يوم الجمعة فيه (عطلة) لمؤسسات السلطة**، وعدم تمتُّع رجال الدولة وخاصَّة رجال الأجهزة الأمنية بهذه العطلة

الأسبوعية سينغِّص عليهم بقيَّة أيام الأسبوع، وبتراكم الضغوط دون استراحة، ستضعف قبضة رجال السلطة عن تأدية ما هو مطلوب منهم، بعد أسابيع من الإرهاق (ليل نهار).

ـ **إعطاء صفة من (القدسية) للعمل في هذا اليوم لثلاثة أسباب:**

الأول: للتدليل على أنّ الفعل الثوري ضدَّ السلطة فعل وطني؛ ولا ينتمي إلى خارج الحدود... (نظرية المؤامرة).

الثاني: للتدليل على أنّ المشارك في هذه الثورة عندما يقتل من قبل أجهزة السلطة سيكون شهيداً في سبيل الله، نال شهادته في يوم (الجمعة)[1] ضد سلطان جائر[2] باعتباره أفضل الجهاد.

---

(١) أغلب الحركات المعارضة في منطقتنا تعتبر وجود شهداء لها رفع لمكانتها بين الحركات الثورية.. فالشهيد عندهم رصيد يُلْهِم الآخرين معاني التضحية، المهمُّ أنه يعطي للحركة شرعية الفعل المبني على الجدِّيَّة والإصرار البطولي. لذلك أغبى قرار تتَّخذه السلطة هو إطلاق النار على الثائرين في الميدان. فيؤدي ذلك إلى زيادة رصيد الثورة عند الرأي العام، فهو بناءٌ للمعارضة ضدَّ السلطة، وفي الوقت نفسه انتزاع لشرعية السلطة التي أهدرت دماء الشعب المحكوم، فهو هدمٌ عليها؛ لأنَّ شرعية السلطة تنتهي مع أول دم لشهيد طالَبَ بالحريّة بصوته البعيد عن العنف المسلّح.

(٢) نسبة إلى الحديث النبوي الشريف عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطانٍ جائر فأمره ونهاه، فقتله**» (الهيثمي والشوكاني). ينظر: =

الثالث: إنَّ وجود الشهداء سيكون وقود الثورة المتَّقد دائماً، للمطالبة بإدانة السلطة، وإذا سقطت هذه السلطة سيتمُّ تجريمها قانونياً، ومحاصرتها دون الإفلات من العقاب في الداخل والخارج... مع استرداد الأموال التي أخذها رجال السلطة؛ لإعادة بناء ما خرّبه الفساد السلطوي السابق. وبعد كلّ ذلك فإنّ يوم الجمعة يوفِّر للثورة معادلة قوة السلطة. بمعنى أنَّ السلطة متفوّقة على الثورة فنِّياً وماديّاً، وبتجيير (بركة) يوم الجمعة لصالح تحركات الثورة سيضعف تفوق وقدرات السلطة؛ لأنَّ يوم الجمعة للعموم هو يوم ديني مقدّس وإدخال الدِّين ضدَّ السلطة هلاك للسلطة. فلا يتواجه (الدِّين) مع السياسة إلا انتصر الدِّين لا محالة. ولهذا نجد: (إنّ موسى أدخل اسم الربّ إلى ميدان المعركة، لمعادلة خوف الشعب من فرعون مصر). [سفر الخروج ـ الإصحاح ١٠]. ما معنى ذلك للمعارضة ضدَّ السلطة؟

إنَّ قتلى المعارضة شهداء، والمشاركون من الناس بالثورة من المؤمنين، فيما رجال السلطة من (الظالمين)، خصوصاً بعدما تتَّهم السلطة رجال المعارضة بأنهم من المتطرفين الإرهابيين... لمجرَّد أنهم استخدموا شعارات إيمانية مألوفة في الثورات الوطنية اليوم، لشحن النفوس ضد السلطة، وهم

= محمد الألباني: صحيح الترغيب، م١، الرياض مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ، ص٢٣٠٨.

يعلمون أنهم ليسوا كما تصفهم السلطة، هنا تُوقِع السلطة فعلاً (نفسها) في ورطة وتهمة خطيرة تدينها بأنها غير مؤمنة. والسلطان غير العادل يجوز شرعاً الخروج عليه واستبداله بالسلطان المؤمن.. ما يزيد من إصرار الثوار.

ومن هنا نجد أنّ الثورة ترفض الاستجابة (للتفاهم والتفاوض) مع السلطة بعد انطلاقها الكبير.

وهكذا يكون يوم الجمعة (محطة) باتِّجاهين أساسين:

الأول: لصالح المعارضة للبدء بالثورة، وهذه البداية تدلُّ على تكامل القرار بالتحرّك ضد السلطة... ومعلوم أنّ الهجوم، أحسن وأقوى من الدفاع.

والصعوبة عند شروع البداية، إعادة عقارب الزمن إلى الوراء كالسابق.

من هنا فإنّ السلطة الحريصة على الذات، عليها أنْ تكون شجاعة كالآتي:

• تسارع إلى الإصلاح الملموس للعيان كما حصل في بعض البلاد العربية.

• أنْ تُجمّد الأسباب المباشرة الدافعة للخروج إلى الشارع، ولو اقتضى ذلك اتخاذ قرارات كبرى غير مسبوقة. فما هو مطلوب اليوم، قد لا يكون كذلك في الغد. ولعلّ أفضلَ القرارات تكون في الدول التي تمتلك مراكز بحوث ودراسات استراتيجية، سبق لها تهيئة الأرضية المعرفية البصيرة لصانع القرار قبل أنْ (تُفْرَضَ) عليه قرارات ثقيلة المعيار والعيار

كالرصاص. هنا تبرز أهمية (فنّ التوقيت)؛ لأنَّ الزمن صناعة قابلة للتشكُّل الهلامي؛ على حدّ قول عالم الفيزياء ألبرت أنشتاين. وفي أدناه مزيد استفاضة.

الثاني: تعرية السلطة وكسر حاجز الخوف العلني، ومباغتة حسابات الأجهزة الأمنية (الغافلة) أو المُغْفَلة، وفرض أمر واقع لا يتراجع. وهذا يدفعنا لبيان: مزيد أهمية فنّ التوقيت من قِبَل الثورة ومن قِبَل السلطة كذلك.

يقول الكاتب الأمريكي روبرت غرين: (إياك أنْ تبدو مستعجلاً، فالعجلة تفضح نقصاً في سيطرتك على نفسك وعلى الزمن. أظهر صبوراً دائماً كأنك تعرف أنَّ كلَّ شيء مرجعه إليك في آخر المطاف. تحرَّ اللحظة المناسبة، وتحسَّس روح العصر والاتجاهات التي ستحملك إلى السلطة، تعلّم أنْ تقف عندما لا يكون الوقت قد نضج بعد... وأنْ تضرب ضربتك بشدَّة عندما تصل الثمرة إلى النضوج)[1]. هذه الوصية لا تصلح للسلطة؛ إنما هي للمعارضة، بل على العكس لوالتزمت بها السلطة فستكون عليها وبالاً... وقد رأينا النظام في مصر (٢٠١١م) كيف كان بطيء الفعل وردّ الفعل المتفاعل، فأعطى انطباعاً للجميع في الداخل والخارج، أنه يعيش بفكر وسلوك خارج العصر... وأنّ ثورة (الشباب) أكثر وأسرع منه تناغماً،

---

(١) روبرت غرين: كيف تمسك بزمام القوة؟ الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م، ترجمة محمد البجيرمي، ص٤٧٠.

في إيقاعها الميداني العملي والنفسي السياسي الحركي، ما أسهم في عزلته رويداً رويداً، كأنه كان يعيش في زمن المماليك. إذاً لفنِّ التوقيت فنٌّ آخر، هو ما نسميه بفنِّ التناغم في التوقيت، وهذه هي مهَّمة الثورة، أنْ تكون جسراً قوياً رابطاً التاريخ للعبور الجديد إلى المستقبل، ومدوّنة للحقيقة الكبرى المنتصرة على الظلم والقهر، بقلم القدرة والاقتدار. إنَّ فنّ التوقيت في فترة الاضطراب والعنف والجيشان، يدلّنا على الآتي:

أولاً: ضرورة الاعتراف بروح العصر... ولنتذكر مقولة نابليون بونابرت القائد الفرنسي (١٧٦٩/ ١٨٢١م): التي مفادها: (إنَّ المسافة نستطيع أنْ نستعيدها، أمَّا الزمن فلا أبداً).

ثانياً: إنّ التعرّف على المزاج الشعبي السائد، لا يعني بالضرورة الجري وراءه.. بل لا بدَّ من اختيار التوقيت المناسب والمتناغم للتحرك والحركة، ليكون الفاعل في طليعة الحدث عند بدء الحركة الجديدة. وإلا سيسحق ردّ الفعل القويّ منْ يعجز عن (التنبؤ) بما سيؤول إليه الحال الجديد، لا محالة.

ثالثاً: الصبر في التعامل مع الزمن والتوقيت، فإنْ خسرت لا تتهوَّر وتصارع الفشل؛ بل انسحب بهدوء، وابنِ من جديد بصبر متحرِّك ممارساً لعبة التخفي كالقسورة (الأسد) بين العشب؛ قبل الهجوم الكاسح على حُمُرٍ مستنفرة، المهمُّ حافظ

على نفسك ضمن روح العصر، وتذكّر أنّ الزمن يظلُّ السلطان القويِّ، فلا تكن مجرَّد ظلٍّ للزمن الضعيف. وهنا أخطر ما في فنّ التوقيت، أيِّ القدرة على التحكّم بنفسك وبمنْ معك من دون تهوُّر مهما كان الضغط قوياً، تمسّك ببرودة أعصابك مع تبريد سخونة الخصم، وهذا يوفِّر لك الضربة القاضية، وهي تشتيته وإرباكه بالمباغتة، فتتحوَّل أنغامه المنسجمة إلى مواقف مضحكة وسط الزحام، فلا يعبأ به أحد. فالناس تتعاطف مع المنتصر الجسور في نهاية الشوط. وإنْ ذرفت الدموع على المنهزم، لكن الدموع لا وزن لها في مجرى الصراع، إنما الوزن الحقيقي يكون للناس الأحياء في المشهد. وهكذا يبدأ قانون الهياج الثوري فعله.. لقد وصلت أخبار الثورة الشعبية إلى الغالبية، وطفقت النفوس تسترجع المواقف والمظالم والثارات الدفينة ضدَّ رموز السلطة. إذاً: فرصة الإقدام قوة من (الثوار)، فالذي خسر كلّ شيء، لن يخسر شيئاً. وأيّ مكسب له مهما صغر سيكون ربحاً ولو بالاحتجاج والتنفيس عمّا في الخواطر المكبوتة. ما معنى ذلك على أرض الواقع؟ الجواب: إنّ (منظومة) السلطة تحوَّلت من أداة لحماية شؤون الناس إلى أداة لقمع الناس.. وبالتالي ألغت عنوةً من طرف واحد شرعية (العقد الاجتماعي)(١).

---

(١) العقد الاجتماعي هو اتِّفاق يفترض تخلِّي الناس عن حالة الفوضى ليكوِّنوا المجتمع الذي يعيشون فيه. ففيه صورة الشرعية وحقيقة الدستور للجميع، ضمن الوطن الواحد.

ما هو الشيء الذي يثير الناس أكثر من غيره؛ ويبقون ينتظرون الفرصة لردِّ الصاع صاعين لمنْ قام به من رموز السلطة وبالتالي منظومة السلطة؟ إنها خمسة أمور مترابطة:

الأول: الإساءة للكرامة الشخصية. (خصوصاً والبلاد العربية تقوم في معظمها على العشائرية).

الثاني: الظلم الاجتماعي. (هناك ذخيرة حيَّة من التراث ضدَّ ظلم الحكام).

الثالث: كذب السلطة. (وأمثلتها كثيرة جدّاً في تاريخنا السياسي وغيره).

الرابع: سرقة المال العامّ وغيره. (وموظّفو الحكومات معروفون بالرشى والاختلاس).

الخامس: شخصية الحاكم. (وغالبيتهم من العسكريين المغامرين السطحيين).

في هذه المرحلة سنرى التماس المباشر بين المعارضة والسلطة، فكلّ الأطراف صارت على بَيِّنة من التطورات، وما تحمله الأيام من متاعب...

وبادئ ذي بدء، ستخسر السلطة هذه الجولة، حتى لو تمكَّنت من السيطرة على الجموع في الميدان. فكيف ذلك؟

إنَّ قادة الثورة يمتلكون شجاعة في المواجهة، وهذه الشجاعة ليست بالعضلات إنما في الرؤية لروافد السلطة، وانطلاق الغضب يقطع التردد الذي تقوم عليه (دعائم) السلطة، ونعني بهم رجال الأعمال والمال، الذين سماهم بن طفيل

الأندلسي بالنوابت. فهؤلاء بعدما يتأكدون عمليا من أن (الاستقرار) تلاشى وتهافت، تراهم أسرع الناس هروباً من أروقة الأسواق والبورصات والبنوك... فالرأسمالي جبان أكثر من الحاكم الظالم. وبذلك تحقّق المعارضة الفوز بالمرحلة الثانية، لكن السلطة مازالت قائمة، فلديها بدائل متعدِّدة... فتلجأ إليها، وهنا تزداد خسارة السلطة؛ لأنها ستنشغل بالاجراءات لوقف (الهروب) والسفر، فتصدر قرارات، تبدو فيها أنها قادرة على ممارسة السلطة، لكنها في الوقت نفسه تأخذ بخسارة (الزبائن القدامى) ونعني بهم رجال الأعمال والمال أنفسهم، فتتكشَّف الفضائح المالية إعلامياً، وتورّط رموز السلطة الأساسيين مع بعض هؤلاء (الهاربين) فتصبح محاولة لهروب رموز السلطة لاحقاً. ويكون الموضوع قد وصل إلى وسائل الإعلام، وتَحوَّل إلى قضية رأي عام.. تؤجِّج الناس الذين مازالوا لم يدخلوا ميدان الثورة. فإنَّ كانت الثورة في العاصمة، زحفت الأطراف للدخول فوراً إليها تضامناً مع التجربة الجديدة، ولضمان حصّة في المكانة بعد التغيير. وإنْ كانت الثورة في الأطراف فإنها تنتقل إلى العاصمة أسرع من لهيب نارٍ في حطب يابس.

ويبدأ تشتيت قوى السلطة، بتعدُّد فتح جبهات هنا وهناك. هذا الأمر يقف من ورائه قلب ساخن وعقل بارد، غالباً لا يظهر للملأ مباشرة.

وهكذا (تتعزز) شرعية الثورة تدريجياً، بسبب هذه الفضائح

المالية، التي عادة ما تشير إلى الرموز الكبيرة في السلطة، ما يجعلها في موقف حرج، فتتوارى عن الظهور إلا في لقطات، لإثبات الوجود. وهنا تكون الثورة قد حققت موطئ قدم راسخة في الصراع بمدَّة وجيزة.. وهي فترة قياسية، تجعل الناس يستسهلون مواجهة وتغيير السلطة أسرع بكثير ممَّا كانوا يخشون.

وتبدأ قطاعات أخرى جديدة تسعى للانضمام إلى المعارضة. لقد سقط حاجز الخوف عملياً بعدما أسقطته الثورة نفسياً. وأهم مظاهر الثورة في هذه المرحلة الساخنة من (وحدة الشعب وتلاحمه) التي تصل أحياناً إلى مستوى المثالية الوطنية.

وفي الوقت نفسه تبدأ مكوِّنات السلطة (تتهافت) في النفوس، ويدبّ في موظفي الحكومة الشعور بالنقيصة أمام الناس، وهذا أخطر ما يؤدِّي لاحقاً إلى فقدان شرعية السلطة المهيب، رفض العاملين بمعيتها من الموظفين، رغم التهديد بقطع رواتبهم وأجورهم، فلا يأبهون للتهديدات؛ بل يعتبرون مواجهتها بطولة لم تكن فيهم من ذي قبل. ومن هذه النقطة التحوُّلية، يسعى بعض عقلاء السلطة لإعادة التوازن... لكن من دون فائدة.

وفي الوقت نفسه هناك خطر غير منظور، وهو (اختفاء) رموز السلطة من الترتيب الثالث والرابع، والانزواء في أماكن غير معروفة بالداخل أو السفر إلى الخارج، أو تسفير عائلاتهم

على الأقل. وبعضهم يسعى لمد جسور التراضي مع الثورة، قبل غرق سفينة السلطة، ليبدؤوا مرحلة جديدة في مشوارهم (الانتهازي).

ونستطيع تسمية هذه المرحلة بجمعة (كبش الفداء)، خاصَّة للسلطة، ما يؤدي إلى تقديم بعض التنازلات لغرض تخفيف الاحتقان في الشارع الغاضب(١).

ولا شكّ أنَّ الطرفين، في ضوء المستجدات، سيُجريان مراجعات (سريعة) للترتيبات المرتبطة بالميدان؛ لأنَّهم يخشون أنْ يكون فيها إحباط مفاجئ.

أولاً: السلطة في الغالب، ستجري تغييرات باسم الإصلاحات الضرورية، تمسّ بالدرجة الأولى

---

(١) في الإعلام السياسي، هناك مصطلح: كبش الفداء: (Frustration Scapegoat). وهذا المصطلح يتكون نتيجة الإحباط، فيكون اختيار حالة أو شخص ليكون هذا الكبش لتخفيف الاحتقان والفشل والهزيمة، ويفضّل أنْ يكون هذا الكبش خارجياً؛ أيْ: من خارج منظومة السلطة.

وفكرة كبش الفداء تتمُّ من خلال التضحية بالجزء للحفاظ على الكلّ، أو التضحية بالصغير للحفاظ على الكبير، أو التضحية بالضعيف للحفاظ على القويّ. وفكرة كبش الفداء تقوم على أساس تبريري فاقد للمبادئ والأخلاق؛ لأنَّه لا ينمُّ عن تضامن جماعي وجَمْعي حقيقي لمنظومة العمل بين الأعلى والأدنى، أو القيادة والقاعدة. الدكتور عبد الإله مصطفى: تحليل لغة الدعاية، بغداد، مكتبة الشرق، ١٩٨٧م، ص٢٥.

عناصر(الحكومة/ الوزارة) وبعض القيادات الأمنية والإدارية التنفيذية. وهذا أغبى إجراء تقوم به السلطة؛ بل هو اعتراف رسمي بخسارة الجولة الأولى والثانية في يوم الجمعة. إنه البحث عن (كبش فداء) ليكون مادة مرنة للإعلام السياسي، لكن بعد فوات الأوان.

ثانياً: المعارضة في الغالب تجري تغييرات (تكتيكية) تمسّ بالدرجة الأولى (الشعارات المرفوعة). فتارة تطلق شعاراً مقبولاً، وتارة تطلق شعاراً متطرِّفاً، لتقيس ما بين المقبول والمتطرِّف من ردّ فعل السلطة. وللبعض تبدو المعارضة برؤوس متعددة، لكنها في الحقيقة بمستوى واحد من التفاهمات غير الظاهرة للعيان. فإنْ وجدت ردَّ فعل السلطة رافضاً بقوة وغير مشجِّع تردِّد الشعار المتطرِّف، وليس المقبول؛ لأنَّ معنى ذلك أنّ السلطة لن تتجاوب مع هذا الشعار، وهذا ما تريده المعارضة بالضبط لاستمرار جذوة الثورة متَّقدة ووقَّادة... وهنا يحدث شيء، نسميه: (الطريق المسدودة) للطرفين.

عند ذاك تدرك السلطة أنها أمام قوة (شرسة) وإنْ كانت مسالمة، ولن (يفلَّ) اللحم الحديد، إلا النار الحديد. فيكون اللجوء إلى (السلاح) بحجَّة (قمع المؤامرة والتدخُّل الأجنبي الداعم لها). هذه العبارة يفهمها قادة الثورة بأنها تصريح صريح بقطع خيوط التواصل (نهائياً) مع السلطة، وعليه فلن يكون هناك خطٌّ أحمر للفعل وردّ الفعل. وسيكون الضرب

سيد الموقف، خاصة الضرب فوق الحزام وليس تحته[1].

وهكذا قبل مواصلة المرحلة الرابعة من استغلال يوم الجمعة، هناك ظاهرة لا يمكن تجاوزها، ونعني بها مشاركة المرأة في الثورة؛ حتى في المجتمعات المحافظة جداً كما في اليمن، لمواجهة السلطة. لنتعرَّف على مكونات هذه (الظاهرة) المهمة في صراع الكمِّ والنوع للإنسان العربيّ المعاصر كما ظهر في مجريات ثورات الربيع العربيّ. فلماذا ظهر في الثورة دوراً للمرأة؟

إنَّ المرأة عموماً تمتلك إحباطاً مزمناً، فلديها وهنها الجسماني وحالة الضعف في التركيب الهيكلي. وحاولت المرأة وفق مبدأ التعويض أنْ تتسلَّل لتحقيق هذا الانتصار في هذا الجانب وتحقيق حالة (عملية) بمسارب ذات حيل دفاعية أخرى... كما عوَّضت عن هذا التكوين العضلي في دفع الرجل إلى مواقع الصراعِ الفعلي، فوقفت بجانبه، تشدُّ من أزره في الصراعات وتحثّه على المواجهة... معلنة بصمتها، أنها لا تحبّ إلا الرجل المؤمن الشريف الشجاع.

---

(١) الضرب فوق الحزام مصطلح يشير إلى القتل العمد دون تردُّد، والضرب تحت الحزام، مصطلح يدلُّ على التخويف والردع دون القتل. وغالب هذه المفاهيم تعود لجذور (ماركسية) ضدَّ القوى البرجوازية التي ظهرت في أعقاب الثورة الاشتراكية في روسيا بعد سنة ١٩١٧م. وكذلك بسبب تأثيرات الثورة في الصين على عهد ماو، بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٩م). وقام بعض أفراد اليسار العربيّ الثوري، بترويجها، بسبب قبولها، خاصة في البيئات (الفلاحية) العربية.

لقد وجدت الدراسات النفسية والاجتماعية أنه لا يوجد في ذهن الرجل حافز أهم من رضا المرأة. . . إنَّ المرأة اكتسبت في ذهن شريكها مدعاة للشجاعة الاجتماعية ضمن إطارات المحافظة على السيادة الوطنية، بقيمها الكبرى.

إنَّ الخوف الكبير من فقدان الرجل لبطولته في ذهنه هو في كثير من الحالات خوف من ارفضاض الرضا الأنثوي حوله. بمعنى أنَّ مشاركة المرأة في الانتفاضات والثورات الشعبية يعدُّ عاملاً مشجِّعاً لهذه الثورات، وبالتالي السيطرة على خروج ومشاركة المرأة يؤدِّي إلى تخفيض هياج الرجل في الميدان كثيراً. وكان ذلك واضحاً في المواجهة بين (رئيس اليمن) آنذاك والنساء المتظاهرات.

وهنا لنلاحظ الفروق بين البيئة في خارج العاصمة، وهي في الغالب بيئة ريفية، وبين بيئة العاصمة المفترض أنها بيئة حضارية أكثر من الأطراف؛ كما حصل ضدَّ الدكتاتورية في: تونس ومصر.

ففي الأطراف حيث البيئة زراعية التي تتطلَّب قوة جسمانية عضلية للمرأة؛ لأنَّها تشارك الرجل في أعمال الفلاحة والزراعة، لذلك نجد الثورات في الأطراف تستمر رغم عنف السلطة؛ لأنَّ إدارة العمل خارج البيت تقوم به المرأة إلى جانب الرجل، أمَّا في بيئة العاصمة فالحالة متقاربة والتفوُّق العامُّ للقوة الجسمانية للرجل، لذا نجد المرأة أقلّ في المشاركة في العاصمة لدعم خروج الرجل، ففي الوقت الذي

تشهد المرأة العربية، وغالبيتهنَّ من بيئة زراعية، هياجاً سياسياً ضد السلطة، نرى نساء العاصمة يتردَّدنَ بالخروج، إلا في حالة مصر، والسبب هو أنَّ القاهرة كحالة تاريخية تسمى (مصر)؛ أيْ: تجتمع فيها كلّ مكونات البلاد مرة واحدة، فالقاهرة أشبه بالمدينة ـ الدولة في التاريخ اليوناني القديم، مدينة واحدة تشكِّل دولة ذات جيش وحكومة. نحن لا نتكلَّم عن الحالة الاستثنائية بل عن مجمل الظاهرة.

إنَّ تطور المجتمع لم يخفِّف في المرأة نزوعها (العملي الفطري) الذي يبرز من حين لآخر في مختلف شؤون الحياة اليومية. ورغم ذلك منْ يظنّ أنَّ عالَماً تحكمه النساء سيسود فيه السَّلام عليه أنْ يراجع حساباته الافتراضية.. هذا ما أثبتته يوميات الثورات العربية.

لقد كانت المرأة العربية رفيقة الرجل في مواجهة السلطة، سواء في الريف أو في المدينة لتشجيع وحثِّ الرجال على الخروج والثورة. بل في بعض الأحيان تفوَّقت على الرجل في التحمّل، خاصة اللواتي فقدنَ أزواجهنَّ وأولادهنَّ، ونزلنَ بأنفسهنَّ إلى الميدان بشجاعة لم تكن مألوفة في السياقات الاجتماعية الشرقية.

إنَّ خروج المرأة مؤشِّر ومعيار على دكتاتورية النظام؛ لأنَّ المرأة لا تخرج إلا إذا كان لَدَيْها قضية تقضّ مضجعها ليل نهار، وهذه القضية ليست الطعام والشراب والمال؛ بل الابن والأخ والزوج والأب والعمّ والخال.. لا بدَّ أنّ أحدهم ناله

(سوط) النظام، وبذلك نستطيع تدوين سوءآت النظام بعدد النساء الخارجات الهاتفات ضدَّه في الشوارع، ولنتذكَّر أنَّ الخنساء الشاعرة العربية المعروفة، لم تقل شعراً يخلِّدها إلا بعد ذهاب الأخ والولد، فرثت ذكراهم بأروع شعر للفجيعة الخالدة. فالأنثى معيار الأمَّة، لهذا جعلت العرب مقياس الزمن: الليلة وليس اليوم، والشمس وليس القمر، فالمؤنث دليل ذاته ودليل غيره، أما المذكر فدليل ظلِّه واسمه السيِّد.

إذاً: خروج المرأة مع الثورة شهادة على شرعية الثورة، وكشف لحساب النظام مع الماضي المدفون كالوتد في الأرض، قبل تقطيع الحبال وسقوط الخيمة.

ومشاركة المرأة في المظاهرات ضرورية لسببين:

الأول: ذاتي، فالمرأة من بناة الوطن كالرجل. والثورة من حيث المبدأ هي إعادة بناء جديد ضدَّ تخريب السلطة الظالمة السارقة.

الثاني: تحريضي، فالمرأة العربية، عامل كبير في خلق الحركة الاجتماعية للرجل العربيّ منذ القديم، وكلَّما زاد وعي المرأة، زادت جرعة الثورة لديها ضدَّ الظلم. ويكون وجود المرأة زيادة في إقبال الرجال المشاركين لحماية (الأرض والعرض)، كان هذا المشهد واضحاً في ثورتي مصر واليمن بشكلٍ خاصٍّ(١).

---

(١) تكرر هذا المشهد مؤخراً في الانتفاضة العراقية في بداية ٢٠١٣ ميلادية، فظهر تنظيم نسوي جديد باسم (طليعة الماجدات) =

ثمَّ تظهرالمرحلة الحاسمة، ونعتبرها من أخطر مراحل يوم الجمعة في مجرى هذا الصراع، السبب أنَّ رموز الثورة سيطرحون بشكل علني لا تراجع عنه قضية (إسقاط النظام السياسي). فيكون الصراع قد تحوَّل من صراع ميدان وهتاف حناجر، إلى صراع نفي وجود بسيوف وخناجر.. فهو التحدِّي الحادُّ لكلا الطرفين، أمَّا الاستجابة فمرهونة بعوامل:

- **عوامل ذاتية**: أيْ: ما لدى كلّ طرف من إمكانات مخزونة؛ لزجِّها في المواجهة في الوقت المناسب. هنا عامل التوقيت أهمُّ وأقوى تأثيراً من الإمكانات ذاتها.

- **عوامل موضوعية**: أيْ: ما لدى كلّ طرف من علاقات خارجية (حقيقية) تؤكِّدها الأزمات الحادَّة، ضمن حسابات الربح والخسارة[1]. لكن وسط هذا الصراع (الرمادي) يظهر

= لرفض الظلم، وكانت النساء تقود مظاهرات سياسية مستقلَّة عن مظاهرات الرجال.. الذين شكَّلوا دروعاً بشرية عن بُعد كالسوار، لحماية هذه التجربة. ما أعطى زخماً كبيراً لاستمرارية انتفاضة الرجال، خاصَّة وأنَّ أغلبهم من القبائل العربية في وسط العراق. وكانت مظاهرات النساء من أقوى وأخطر المظاهرات الفاعلة منذ الاحتلال سنة ٢٠٠٣ ميلادية. وركزت هتافات النساء على (التحريض والنخوة) حتى هزّت مشاعر الجميع بما فيهم أصحاب السلطة. فتمَّت الاستجابة لمطالبهنَّ باطلاق سراح بعض زميلاتهنَّ المعتقلات في السجون.

(١) كمثال علني لما نقول، ظاهرة العلاقات الحكومية الإيرانية السورية، والروسية السورية، في مواجهة الثورة الشعبية السورية (٢٠١١/٢٠١٢/٢٠١٣ م).

العامل الخارجي كأهمِّ العوامل الموضوعية التي تبحث عن (دور) حاضر ومستقبلي في منطقة الصراع، أيضاً في ظلٍّ حسابات الربح والخسارة والنفوذ، ففي العلاقات الخارجية لا يوجد شيء مجَّاناً؛ حتى (الابتسامة العابرة) بين السياسيين. وبذلك في هذه المرحلة سيبلغ الحشد للطرفين في (الميدان) أقصاه: ماديّاً وإعلامياً ونفسياً وسياسياً.

[٣]
العامل الخارجي

يدخل هذا العامل طرفاً واضحاً بالمعادلة... إن لم يكن من باب التدخُّل، فمن باب البحث عن حلٍّ للأزمة. وبذلك تنجح الثورة في (تدويل) الصراع، وهي بذلك تضعف السلطة، وربما تتفوّق على أدواتها التقليدية، فقد أدخلت إلى الصراع عدة عناصر من قبل:

- الدِّين لتوحيد الصفوف الوطنية. أيْ الدّين بمعناه التوحيدي، لا السياسي.

- الرأي العام الذي كان خارج الصراع الاجتماعي.

- تفكيك منظومة رجال الأعمال والمال. (الفساد الإداري والمالي الطفيلي).

- إضعاف القوى الأمنية وخلق القلق لديها مما سيضعف سطوتها البوليسية.

- فرض حالة الطوارئ وتأزيم آلية سياسة السلطة.

وهنا يظهر مؤشّر جديد يشير إلى الصراع على السيادة الوطنية، ونعني به رفع علم البلاد من قبل المعارضة الثورية،

في إشارة علنية لسحب بساط السيادة من السلطة، وأنّ الثورة أصبحت الممثّل الشرعي للبلاد ولرموزها.

وصار الظلّ الوطني البديل للظلّ الديني وغير الديني في مجرى الصراع.

إنَّ استمرار الصراع من دون حسم ينهك السلطة، ويؤجّج الثورة؛ لأنَّ العدَّ التنازلي للطرفين دخل مرحلة شبه نهائية... فالصراع المباشر يستمر عادة لشهرين أساسيين، بغض النظر عن القوى الخارجية الإقليمية والدولية. فإنْ لم يحسم لصالح طرف على الآخر، سيدخل الصراع دوامة الأزمة. لذا فإنَّ الأيام التالية لهذا الرقم، ستكون أقرب إلى (استراحة المحارب) لالتقاط الأنفاس، فيهدأ الصراع ظاهرياً لبضعة أيام، فمنْ يعود برؤية أكثر جرأة وإمكانية وتأييداً، سيضمن الفوز النهائي.. ومنْ يبقى ضمن أسلوبه ومناوراته التقليدية سيتراجع لا محالة. والشيء المؤكّد: أنَّ الأمور حتى ولو لم تحسم؛ لن تعود كما كانت، بل لا بدَّ من إجراء تغييرات لكلا الطرفين، وأهم تغيير هو السلوك اليومي في التعامل مع الناس سلباً أو إيجاباً؛ لأنَّ السياسة القديمة لن يُسمح لها بالرواج في المجتمع والدولة، هذا إذا طال عمر النظام أكثر من شهرين متتابعين. بمعنى أنّ الثورة وإنْ لم تنتصر نهائياً، فقد حققت أشياء غير تقليدية في وضع (تقليدي) تماماً[1].

---

(١) في الصين القديمة كان السلاطين يغيّرون كلّ ثلاث سنوات =

في الغالب يطلق الثوار على المرحلة الحاسمة (جمعة الغضب)[1]. قليلون لم ينتبهوا لدلالة هذه التسمية الانفعالية. والملاحظ هنا أنَّ (السلطة) في تلك المرحلة تبدأ باستعادة بعض مواقعها... إنَّ التسمية تحمل في مضمونها قلّة صبر الثوار على عدم تحقيق الثورة هدفها المركزي الذي رفعته في بداية هذه المرحلة، وهو إسقاط النظام السياسي. ولتخويف السلطة من عواقب الصراع تضيف إليه: (محاكمة رموز السلطة). هنا السلطة تتنفس الصعداء، فقد أوصلت خصومها إلى مرحلة التذمُّر المغلَّف بحشد المزيد من الجمهور

= الموظفين الكبار وينقلونهم من وظيفة إلى أخرى، كي يحقّقوا لهم الخبرة العملية المتعددة في تداول مناصب السلطة. فهناك ثابت هو الملك أو السلطان إلى حين وفاته، وهناك متغيِّر، هم الأعوان وأركان الدولة وعلاقتهم بالمجتمع. وفي تاريخنا العربيّ الإسلامي وجدنا أنَّ النبيَّ الكريم ﷺ كلَّف العديد من الصحابة بواجبات (تتناسب) مع شخصياتهم وقدراتهم العملية، حتى كانوا مؤهَّلين علمياً وميدانياً لقيادة الدولة والجيوش والناس بعد وفاته.

(١) للغضب وجهان: سلبي (مدمّر) للذات إذا تكرر على الفرد، فيكون هياجاً، ويسمَّى صاحبه: الأهوج. وإيجابي إذا تـمَّ استثماره لمواجهة التحديات والمخاطر المؤذية للفرد أو للجماعة. ونحن تناولنا الغضب برؤية سياسية جامعة للفرد والجماعة. بمعنى الغضب الوطني المشروع في شرائع السّماء وقوانين الأرض؛ لأنَّ الغضب يعطي قوة مضاعفة جداً للشروع في انتزاع الحقّ إذا تمَّ في التوقيت المناسب. إنَّ التوقيت الدقيق مفتاح النجاح للحركة كلها، في السياسة والجيش والبناء والعلاقات.

الغاضب. لكن رغم زيادة الحشد نرى الخط البياني للتأثير الثوري يتنازل، لقد بدأت المعارضة تتحوَّل من النوع إلى الكمِّ، وهذا أخطر داء يواجهها في هذه المرحلة المهمة إذا لم يعالج بسرعة، فتكون له عواقب سلبية، لذا يظهر ردّ فعل السلطة باتجاهين:

الأول: المبادرة بعرض مشروع مصالحة لتقاسم السلطة. وهذه هي السلطة الغبية. والأغبى منها عندما (تَقْبَل) المعارضة هذه المناصفة بالحكم. لقد أصبح الطرفان كحِصَانين مُتْعَبين من سباق مُرْهِق.. رغم التبرير الإعلامي الدعائي.

الثاني: تقوم السلطة (بدك) الثورة لتشتيت قواها في الميدان، وإذا نجحت ستكسب الصراع النهائي لا محالة. إنَّ الدم والعرق وقّاد للثورات السلمية؛ لأنَّه وقود للعواطف الجياشة(١). لكن السلطة رغم دكِّ المعارضة بقيت قائمة، فما

---

(١) كان أحد الأحزاب اليسارية في منطقة الشرق الأوسط في عقد الخمسينات، يطلب بتوجيه (سرِّي) خروج أنصاره من الشباب في تجمعات للقيام بمظاهرات ضدَّ السلطة القائمة آنذاك. وبعدما يتجمَّع (الأنصار) في المكان المطلوب، تقوم قيادة ذلك الحزب بنفسها الاتصال بأجهزة الأمن السياسي للإبلاغ عن هذه التجمعات (الفوضوية)؛ فيلقى القبض على غالبية الشباب.. وفق ذلك البلاغ. وتبيَّن لاحقاً أنَّ السبب من وراء هذه الدسيسة والوشاية المقصودة، أنّ (قيادة) الحزب ذاك بتجربتها الميدانية، أدركت أنّ العضو الحزبي الذي يدخل إلى السجون سيتهافت عنده هاجس الخوف ويكون مقداماً وستتعزز في داخله قوة الانتماء والتنظيم، فيكون أكثر =

الذي حصل من قبل (السلطة) حتى بقيت رغم ترنّحها؟ إنه التسميم الفكري والسياسي!! إذاً: الموقف كله أصيب بتسميم فكري وسياسي ونفسي.

فما الذي حصل في خريطة الموقف على أرض الواقع، بسبب هذا التسميم؟

= رسوخاً ولو كان ذلك الثمن السجن لبضع سنين. أليس السجن للرجال، كما يقول المثل الشعبي؟ ولهذا نجد قيادات ذلك الحزب في المناسبات تصدح: (إنَّ طريقنا ونضالنا معمَّد ضدَّ الظالمين بالدماء والعرق والسجون).

إضافة إلى ذلك، فإنّ سفك الدماء دلالة على وصول المواجهة بين طرفين إلى أقصى مداراتها، أليس الجود بالدم، أقصى غاية الجود؟

[٤]

التسميم السياسي

إنّ التسميم السياسي في حقيقته (مفهوم قديم)، يقوم على الخداع مع تقديم دليل إقناع بعدم الخداع؛ ويكون من خلال (غرس مفاهيم معيَّنة لا بدَّ وأنْ تقود الخصم أوالصديق المغفَّل إلى الاقتناع بأفكار هي في حقيقتها لا تعبِّر عن الحقيقة، ولكن مصلحة منْ يقوم بعملية التسميم أنْ يقنع خصمه بها، فإذا بذلك الاقتناع يقوده إلى موقف معين من الضعف، لا يمكن أنْ يؤدِّي إلا إلى الهلاك السياسي)[١].

وبشأن الصراع بين السلطة والمعارضة اليوم، فهذا التسميم يطلق عليه: فقدان الثقة بين الطرفين. هو ليس فقدان ثقة، لكن الطرفين لا يريدان الاتفاق النهائي. فهو نوع جديد من التسميم السياسي نستطيع تسميته: الصراع الرمادي. فكلا الطرفين يخسر، وكلا الطرفين هما طرف لبلد واحد في حقيقته. وفي **هذه المرحلة نجد شيئاً مهماً وهو (تصاعد) القوى الأجنبية أبواقها لنصرة طرف على آخر، كي لا يكون بينهما أيّ اتفاق لا**

---

(١) الدكتور حامد ربيع: الحرب النفسية في الوطن العربيّ، بغداد، دار واسط، ١٩٨٩م، ص٢١٣.

يخدم مصالح هذه القوى... لذلك نجد الفضائيات تمتلئ بأسماء المحللين والخبراء والمعلِّقين، والتقارير والاتصالات مع رموز القوى السلطوية والثورية، في إخراج يقول بالتوازن الوهمي أو الافتراضي... وهنا يبادر كلّ طرف للكشف عن بعض تكتيكاته من دون أنْ يدري، نتيجة السقطات الإعلامية لبعض من الذين لم يكن لهم دربة قول أو احتراف بمواجهة الإعلام المفتوح... لهذا نسمع ونرى في اليوم التالي كيف استثمر الطرف الآخر ما جاء من سقطات من الطرف الخصم في الفضائية (س) أو في الفضائية (ص). فهي حرب نفسية مكثَّفة مقابل الصراع الداخلي في الميدان.

إنَّ أغلب الثورات يشوبها اللون المختلط. ورغم أخطاء السلطة، يتمّ (استثمارها) بحذق خبير واحتراف مخابراتي لزعزعة قوى المعارضة، في خلط واضح للأوراق وتداخل للخنادق... فالسلطة محترفة الخبرة، والثوار ما زالوا أقرب إلى (الهواة).

وفي هذه المرحلة يطرأ تغيير جديد، وهو حالات الانشقاق للكوادر القيادية من رجال السلطة، ودخولهم إلى صفوف المعارضة، لذلك يتمُّ الترحيب بهم؛ لأنَّ المعارضة محتاجة إلى كوادر (مدرَّبة) في مؤسسات (الإدارة العامة).

وما هي إلا أسابيع قليلة حتى يبدو التحسن جليّاً لدى المعارضة في مجالي الإدارة والعلاقات العامة.. وهذا يقع ضمن صراع تشكيل الصورة في الحرب الحقيقية للعدوّ وفي

الحرب النفسية، داخلياً وخارجياً، بخاصة مع دخول منظومة الإعلام التقني إلى مرحلة السيادة في الأرض والفضاء، حتى تحوَّلت الحروب المحلِّية إلى حروب عالمية تشاهد على شاشات التلفزيون بشكل مباشر وحيّ، يشاهدها الصغار كأفلام، ويشاهدها الكبار كذلك.

لذلك أصبح تشكيل صورة الذات وصورة العدوّ أصعب من ذي قبل. بل تحوّل الأمر إلى رسم الصورة القومية لكلِّ دولة، ما يعني (ترتيب) أوضاع سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية فردية وجماعية لكلا الطرفين المتصارعين (محلِّياً)[1].

---

(١) بات من المعلوم أنّ المحلية بحدّ ذاتها، أخذت سمتها الجديدة من العولمة؛ لأنَّ المسافة بمعنى: (الشُّقَّة الفاصلة) تجسرَّت حتى صار العالم قرية صغيرة على حدّ قول المفكر البريطاني (رسل).

بل نحن نقول إنَّ العالم صار جهاز كمبيوتر يحمل في حقيبة؛ كالحقيبة المدرسية لتلاميذ الابتدائية.

ومعرفة هذه المتغيِّرات من أساسيات الفكر الجديد، إذا أراد إثبات ذاته ووجوده الإنساني. بمعنى أنَّ الغضب (الفردي) إذا جعل في ميدانه الخصب بالتوقيت المناسب سيتحول إلى غضب (عالمي) يمتد من الشرق إلى الغرب؛ أيْ: سيكون أكبر من أيّة سلطة؛ لأنَّ السلطة محصورة بحدودها المادية والسياسية والجغرافية. فيكون الفكر والمفكر أقوى من الحاكم. من هنا نرى في عصرنا التقني هذا، عصر الغضب، عصر الفكر الحقيقي المطابق للحقيقة (الهادئة) التي سبق بها الفلاسفة المفكرين في التاريخ. فلا يظننَّ ظانّ أنّ مقصدنا من الغضب، مجرد الهياج؛ كالثور الإسباني؛

= في مضامير السباق في إشبيلة الأندليسية، ليطارد خرقة حمراء قبل أنْ تغرس في جسده السهام، بل الغضب القدرة الفكرية العملية لخلق حقائق جديدة مبدعة، ضد عالم عتيق مهترئ، أسنده الوهم والخوف والأساطير. وإذا كان لا بدَّ في الميدان من وجود (خرقة حمراء) فلتكن راية الدماء، فلا يسلم الشرف الرفيع من الأذى، حتى يراق على جوانبه الدم. ومهما أريقت من دماء فلن تبلغ معشار الدماء التي يريقها الحاكم الظالم ضدَّ الشعب. ولو راقبنا خريطة الثورات العربية فهي تتناسب طردياً مع نسبة الدماء والسجون التي صنعها الحاكم الظالم في تونس ومصر وأخواتها العربيات. فكلما زاد الدم زاد الغضب. من هنا لا نجد ثورات (حقيقية) ضدَّ الأنظمة التي سفكت دماء أقلّ من سابقاتها؛ لأنَّ الدم فعلاً وقود للعواطف الجياشة والثورات الغاضبة. فمنْ لا يريد الغضب عليه أنْ يمنع (الدم) من أنْ يراق في الشارع العربيّ. وكلّ شيء آخر غير الدم يمكن (التفاوض) عليه. إنَّ هذه النتيجة التي نقولها جاءت بعد مراجعة العديد من تصريحات الثوار ضدَّ ظالميهم، فما دام الدم أريق، فالثمن خسران السلطة، وأنوف الجلادين راغمة، ولو بعد حين... ولن تنقذ الجلادين حتى الأمم المتحدة.

ومن هنا نضع هذا القانون الأولي (البسيط) القائل: إنَّ الدم = نهاية الحاكم. والعجيب أنّ هذا (القانون) في الكيان الصهيوني يعمل بالعكس، فكلما زادت نسبة الدم الفلسطيني النازف من قبل الجلاد الإسرائيلي المغتصب المرشَّح في الانتخابات، تزداد نسبة فوزه عند اليهود. فلا تتشبهوا بإخوان القردة والخنازير أيها الجلادون العرب. ألم تكن دماء قميص يوسف بن يعقوب، وهي دماء ذئب كاذبة؛ فيها سقوط إخوة يوسف بالنتيجة القاهرة، مقابل سُمُوّ يوسف ليكون عزيز مصر والقاهرة؟!

إن الجغرافية المعاصرة جعلت القرار الذاتي غير مستقل عن أي قرار تتخذه الجمعية العامة للأمم المتحدة، فهي المسؤولية الكبرى في إدارة شؤون الأزمة لمنْ كان في الحكم (قبل الرحيل) أو لمنْ سيأتي بعد الرحيل، فيكون الحاكم الجديد للبلاد والعباد، من دون نزعة حزبية أو طائفية[١].

---

(١) بشأن الطائفية تنظر: مجلة النشرة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عدد ٩ خريف ١٩٩٨ ميلادية، عمان، الأردن، دراسة في الطائفة والطائفية: الدكتور جمال البدري، ص١٥.

[٥]
عدوانية الصراع[1]

يتبيَّن لنا فيما يأتي لماذا يتحوَّل الصراع السياسي إلى عدوان دموي بين السلطة والمعارضة؟

وهذا يستوجب علينا التعرُّف على (حقيقة) العدوان في الشخصية الإنسانية.

لقد قالوا كثيراً بشأن هذه القضية، وقد وجدنا أنَّ ما ذكره الطبيب الروسي بافلوف أقربها ملامسة للواقع الاجتماعي. وترتبط نظرية العدوان أو الميل العدواني في ضوء ما يراه بافلوف إلى ناحيتين تعملان جنباً إلى جنب في النفس البشرية، وتؤديان إلى ظهور السلوك البشري، هاتان النظريتان هما:

أولاً: الأفعال أو الأعمال السلوكية الأولية غير الشرطية،

---

(١) عدوانية الصراع؛ أيْ: أنَّ هذا النوع من الصراعات لا بدَّ أنْ يكون عدوانياً بالنتيجة، لسببين:
الأول: أنَّ السلطة في العالم العربيّ هي مكمن القوة والثروة والمكانة الحقيقية، لا اعتبارات أخرى.
الثاني: نتيجة ذلك فإنَّ سحر السلطة لا يفوقه سحر لطلاب الحياة، مهما بذلوا من جهود في غيرها، فهي لهم: نعمت المرضعة، وبئست الفاطمة.

وهي الناتج السلوكي لدوافع فطرية في النفس تولد مع الإنسان، ولا يحتاج لتلبيتها إلى تعلّم، ولا إلى علاقة شرطية بين المثير الخارجي والكائن المُثار، وإنما تكون بحكم الدافع الداخلي التكويني للمخلوق للدفاع عن الذات عند الخطر.

ثانياً: الأفعال أو الأعمال المنعكسة الشرطية، وهي ذلك النوع من السلوك الذي يشمل العادات، ولا تتم هذا المَلكة السلوكية إلا بتوافر المثير والاستجابة لدى الكائن المُثَار، مع ظهور عنصر التعزيز والتدعيم؛ كالألم واللذة والحاجات الحياتية الأساسية... وهذه تحافظ على عدم إطفاء وانطفاء العادة السلوكية.

وسبب وجود هذه العادة السلوكية العدوانية في البشر، ضعف اللِّحاء المخّي عند أغلبية الناس. من هنا أشار العالم الروسي بافلوف إلى أنّ نشوء الأفعال أو الأعمال المنعكسة الشرطية إنما يعود لهذا السبب التكويني، وبالتالي يصبح غالبية الناس غير قادرين، خاصة في الحشد الجمعي، على كبت الدوافع الفطرية التي تختزنها مراكز ما تحت اللِّحاء الدماغي التي تتعارض مع نشوء تلك العادات الشرطية المنعكسة. إنّ مراكز الثواب والعقاب تتواجد في منطقة الهايبوثالموس والجهاز الحافّي للدماغ... وهكذا يبدو لنا من الناحية الطبية أنَّ النزوع العدواني في ضوء نظرية بافلوف هو: استجابة سلوكية لدافع فطري غير مشروط في مراكز الجهاز الحافّي للدماغ، تزامن مع وجود لحاء ضعيف لا يستطيع أداء عملية

الكفّ لدوافع السلوك العدواني[1]. لقد تمَّ تسجيل عدة ملاحظات للأفراد عند مرورهم من حالات الميل الهياجي إلى ممارسة العدوان.. أيْ من التفاعل النفسي إلى حالة الانفعال الحركي أهمها:

- تغيُّرات تجعل الدم يتجمد ويتخثر بسرعة في الشرايين، نظراً لزيادة إفراز الأقراص الدموية، فيصبح السائل الدموي أكثر لزوجة، مما يعيق مجراه، لذا نجد زيادة في حالات الاحتشاء العضلي للقلب والجلطة الدماغية في الأفراد المشاركين في الحراك والحركات والمظاهرات الميدانية، نتيجة دافع الهياج الغاضب... فيكون ذلك مدعاة لكشف الحساب، بالسلب والإيجاب.

- زيادة ضغط الدم نتيجة الحالة الهياجية ونتيجة وجود علاقة بين هرمون الأدرينالين الذي بدوره يساعد على زيادة ضغط الدم وبالتالي زيادة التعرُّق، وكذلك نتيجة تقلُّص الشريان الكلوي، وزيادة إفراز مادة الأدرينالين وتحولها إلى مادة (الأنجيوتنسين) التي ترفع درجة الضغط الدموي. ويتزامن مع هذه الحالة إفراز العرق بسبب نشاط الجهاز الذاتي، ما يزيد في إفراز الغدد الدرقية.

- زيادة سرعة النبض، وذلك نتيجة لازدياد الضخ القلبي للدم الذي يجد أمامه صعوبة ومقاومة في التدفق، نظراً لتقلص الأوعية الدموية.

---

(١) الدكتور ريكان إبراهيم: النفس والعدوان، م.س، ص١٠٥.

ـ اتساع حدقة العينين، وهذا مرتبط بزيادة نشاط الجهاز الذاتي، ويكون اتساع الحدقة نتيجة حالة الهياج والعنفوان بشكل ملحوظ لكن عودتها للحالة الطبيعية يستغرق وقتاً ليس بالقصير، قد يمتد لعدة ساعات. فيقال: عينه يتطاير منها الشرر.

من هنا نستطيع القول: إنَّ هذه الأحداث تؤدي بتواصلها إلى انقلاب في الفرد والرأي العام، غالباً ما يكون بالسلب لا بالإيجاب(١).

وهكذا يأخذ الصراع بين رموز السلطة ورموز المعارضة أبعاده النفسية والاجتماعية والانفعالية في الميدان؛ كتعبير عن صراع الحياة بين الشرّ والخير في النفس. وهناك خمسة أسباب غير ما ورد في أعلاه تلعب دوراً مباشراً في زيادة أو تقليل عدوانية الصراع هي:

أ ـ وسائل الإعلام الداخلية والخارجية(٢).

---

(١) الدكتور فخري الدباغ: غسل الدماغ، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٢م، ص٦٦، ٧٠.

(٢) نقصد بوسائل الإعلام المرتبطة بالصراع مباشرة كدعاية له، والداعمة له من خارج الحدود كموقف. ففيما الدعاية تكون في الداخل لكسب الذين ما زالوا غير داخلين في الصراع، فإنَّ الإعلام الداعم يسعى لأجندات خاصة به، ليس بالضرورة بنفس اتجاه الدعاية الداخلية، ولو كان حليفاً لها..
فهناك لعبة المصالح وتصفية الحسابات وتعزيز النفوذ وأشياء أخرى لا يراها إلا رجل المخابرات.

ب ـ التعليم المدرسي، والمناهج التربوية.
ج ـ وسائل الاتصالات الإلكترونية الفضائية.
د ـ وسائل النقل السريعة الشخصية والعامة.
هـ ـ المزاج الشعبي القائم على الإرث الوطني.

ولم نجد علاجاً لوقف حالات الغضب إلا بالعلاجات الطبية، وهذا غير ممكن في حالات (الحشد) في الميدان، فكأنَّ الصراع في هذه المرحلة دخل حالة (التعادل) لا غالب فيه ولا مغلوب. لكن احتمال حصول تغيُّر في المواقف مع زيادة تداخل الخنادق، الأمر الغالب في مجريات الصراع، فكلٌّ طرف (اطمأن) إلى أنّ الطرف الآخر لن يتفوّق عليه... فلا بدَّ من البحث عن وسائل جديدة غير (حمراء) للطرفين:

أ ـ **الثورة**: خشية عليها أنْ تصاب بـ«الثرميدور» وهو ضعف الاندفاع في الحيوية.
ب ـ **السلطة**: التي ستعاني من الانشقاق الأفقي والعمودي، وهو خطر مركَّب ضدَّها.

ولكن كلا الطرفين يدركان أنَّ الاجراءات العنيفة لن تجدي نفعاً؛ بل ستزيد الأمور تدهوراً وتزيد من الضحايا... وقد تعلّم الطرفان متى يتحرَّكان ومتى يتوقَّفان، مع مراعاة (التوازن) الخارجي سلباً وإيجاباً، لصالح كلٍّ منهما.

من هنا تبدأ الثورة بالدعوة إلى العصيان المدني، والدعوة لتشجيع القوات المسلحة للحاق بركب الثورة... وقد ينجح جزء من هذا البرنامج لكنه ليس فعلاً استراتيجياً؛ بل يقع ضمن

التكتيك والحرب النفسية والدعائية. فيما تقوم السلطة بعملين متزامنين:

الأول: في البلاد التي فيها العشائر، لضمان عدم الانقضاض على العاصمة وإرباك الوضع الداخلي. وأفضل أسلوب لهذا: تقديم الدعم المالي السخي لشيوخ العشائر خاصة القريبين من ضواحي ومحيط العاصمة.

الثاني: زيادة رواتب أفراد الجيش وموظفي الدولة لضمان استمرار موقفهم مع السلطة. هي تريد إرباك الثورة وتهميش تأثيرها، فتعمد الثورة إلى كشف كثيف لنواقص السلطة في نهب أموال الشعب وتهريبها وسوء استخدامها، وتهميش هذه الزيادات واعتبارها رشاوى لحماية النظام الحاكم من غضب الشعب. وبذلك تنجح المعارضة بكسب الشباب (العاطل) أو المعطل عن العمل والموظفين المفصولين لأسباب مختلفة، وتجمعهم بالسبب السياسي. وكلّ هذه التفاصيل تدلُّ على الفتور في الصراع، وكأنَّ كلّ طرف ينتظر تنازلاً من الطرف الآخر. لكن يبرز العامل الخارجي من جديد بقوة ليعيد تشكيل آليات الصراع، فهو لم يخسر شيئاً فليواصل اللعبة بأدوات غيره.. ليس بالضرورة بموافقة المعارضة؛ بل يستغلها لمصالحه في المنطقة.

إنَّ أعلى مراحل الصراع بين السلطة والمعارضة، إنزال الجيش بأسلحته الثقيلة إلى الشوارع، وهذا أكبرخطأ وقعت فيه أنظمة الحكم أنها أنزلت إلى الشوارع الجيش بسلاحه الثقيل،

وبذلك رفعت من مكانة الثورة ضدَّها بقدر حجم السلاح الثقيل... وبالنتيجة سينحاز الجيش إلى الثورة بعدما يجد هيبته المهنية والحرفية لا تحترمها السلطة وأنه يقاتل أبناء الشعب بسلاح مصمم لحرب العدوّ وليس لقتال أهله في الشوارع. لقد زجّت به السلطة في السواقي الصغيرة بدل الأنهار والبحار الواسعة التي هي ساحته الطبيعية، فالسلطة استصغرت قيمة الجيش، ولذلك نجدها تلجأ إلى الاستعانة بالمليشيات... فخسرت القوات المسلحة وتَدْعَمُ موقف الثورة من حيث لا تحتسب. عليه سيكون موقف غالبية رجال الجيش:

١ ـ الحياد الإيجابي؛ كما حصل في مصر.

٢ ـ عدم ضرب الثورة ولو طلبت منه السلطة؛ كما حصل في تونس الزيتونة.

٣ ـ الاصطفاف القبلي والطائفي؛ كما حصل في اليمن وسورية على التوالي.

ففي اليمن مثلاً، أظهر الواقع أنَّ الثورة كانت قادرة من التغلّب على النزعة القبلية، على الرغم من استحكامها في مجتمع كاليمن. ويبدو أنَّ السبب من وراء ذلك هو العامل القبلي نفسه. إذْ أنَّ حرب القبلية التقليدية لا يكون ممكناً إلا بالقبلية المستنيرة[1]. أما في سورية فإنّ (الطائفية) بقيت عصية

---

(١) القبلية المستنيرة هي الانتماء الطبيعي الشرعي للفرد إلى أسرة ثمّ عشيرة فقبيلة فمجتمع، دون أنْ يكون هذا الانتماء فيه غلبة وسطوة =

على العامل الوطني، ما يجعلنا نستشفّ، أنّ الطائفية فعلاً أكثر خطورة من القبلية والعشائرية، وهذا أحد (حسنات) فعل الغضب في الشارع العربيّ. وكما أشرنا سابقاً، فإنَّ الحاجة إلى بناء نظرية عمل جديدة لواقعنا العربيّ القومي ضرورة من ضرورات الأمن القومي العليا، بعدما غابت عن الساسة مقومات الأمن القومي العربيّ في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، برؤية مشتركة ومنسجمة مع الشعب. فمع الغضب في الشارع العربي تحوّل الشعب إلى (معلّم) للحكام، بعدما كان (جاهلاً) في شؤون إدارة الأمة، فإذا به يدير الأزمة

= وفوقية جاهلة على الآخرين. إنَّ مقومات الشخصية العربية:

١ ـ القبلية: وهي حقيقة تاريخية طبيعية، فجميع الأفراد العرب ينتمون إلى عشائر وقبائل، استقرت قبل وبعد الإسلام في المساحة الجغرافية المسماة اليوم بالوطن العربيّ، في قارتي: آسيا وأفريقيا.

٢ ـ الدِّين: إنَّ الدِّين الإسلامي والمسيحي حقيقة ثابتة في الشخصية العربية، كلّ واحد وفق وحسب الانتماء الروحي الذي (وجد نفسه) عليه من أبويه. بل إنَّ القوى الدولية (متفقة) على أنَّ البلاد العربية، مهما نالت من ثروات وعلوم، لن يكون لها جامع سوى الدّين أولاً ثمَّ اللغة. والدِّين هنا، للأغلبية هو الإسلام. بل لن يقوم للعرب شأن إلا بسلطان الدِّين، وهو ما أكده من قبل صاحب المقدمة بقوله: (في أنّ العرب لا يحصل لهم المُلك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدّين على الجملة). ينظر: مقدمة ابن خلدون، بيروت دار القلم، ١٩٧٨م، ص١٥١. ومن هنا تسعى الأحزاب والجماعات السياسية اليوم للتستر بغطاء الدِّين، لنيل المرام المضمون، بأقل جهد ممكن.

ويسقط أعتى الدكتاتوريات بالحناجر من دون سلاح (السيوف والخناجر)؛ أيْ: أنَّ رؤية الشعب لإدارة شؤونه صارت وطنية غير مستوردة من ديمقراطيات الغرب التقليدية. فهنا اليوم تولد، ولو ببطء، ديمقراطية العرب الشعبية، لتلتقي مع بعض حلقات تراثه المشرق في العلاقة العادلة الحميمة بين الخليفة العادل، والشعب المؤمن بحقِّه في الحياة.

نعم مازال الطريق في بدايته، والألف ميل تبدأ بخطوة واثقة، وها هي قد بدأت بخطوات راسخة نحوالمستقبل.

[٦]
لغة الصراع

للصراع بين السلطة والثورة التي تقودها المعارضة لغة خاصة تتجلّى في الشعارات المرفوعة في التظاهرات... وهي تعكس (التراكمات) السلبية للمراحل الزمنية السابقة، تتفجَّر كالماء ازداد ضغطه. فلنتعرَّف على مكونات هذه اللغة ونرصدها بالتحليل.

إنَّ أهم ملاحظة مركزية للغة الصراع تكمن في الاستدلال... وهو الحضّ الحرفي للكلمة في تبني الموقف (التاريخي)، ونقصد به غرضين في آن:

الأول: غرض الإعانة على نقل روح الحدث إلى الشريحة المخاطبة في الحين المزامن لذلك الحدث.

الثاني: غرض الاستمرارية في المفهوم، بحيث لا يكون الزمن السريع حاجباً للمفهوم البنائي للكلمة بتعاقبه الزمني عليها... لذا نجد أنَّ الكثير من شعارات الثورة مقتبساً من شعارات الثورات الكبرى ضدَّ المحتل السابق الداعية للاستقلال[١]. وفيما يكون

(١) في مصر تمَّ توظيف بعض شعارات مصر المحروسة من ثورة عام ١٩١٩ =

الغرض الأول وصفياً يكون الغرض الثاني تقويمياً، لكن ليس هذا هو الهدف المباشر لهذه الشعارات والكلمات؛ إنما هناك هدف أعمق هو: الغرض التحريضي. وهو الهدف الاستدلالي بالنتيجة، كأنَّ الاستدلال هو الوجه الآخر للتحريض. وهذا مناسب لعصر (ثورات الشوارع).

إنَّ مؤثِّرات الكلمة في المشاركين والمراقبين تقسم إلى نوعين:

١ ـ **مؤثِّرات في الكلمة ذاتها**؛ أيْ: مؤثِّرات شكلية وبنيوية معاً، وفعالية هذه القدرة للكلمة تكون بعلاقتها بالحدث من خلال:

• الوضوح والاقتراب من موروثات الوعي الفردي والجمعي، لتهييج اللاوعي غير المباشر (الكامن).

• التقنين المرتبط بالتحديد الوصفي والشكلي للحدث، ما يجعلها مؤثِّرة في الوعي المباشر (الظاهر).

• الشمول اللفظي، لتغطية أكبر عرض وصفي شكلي للحدث في الميدان.

• الجودة في الدلالة، من خلال حقيقة أنّ الشكل الجيد في

= إلى ثورة ١٩٧٧ ميلادية في عهد السادات المعروفة بثورة الخبز. وفي سورية تمَّ اقتباس بعض شعارات الثورة السورية الكبرى ضد المحتل الفرنسي. والغرض من هذا الاقتباس، لبيان العمق التاريخي للثورات الشعبية، لتعزيز مشروعيتها الجماهيرية العميقة ضد السلطان الجائر، الذي صار شبيهاً بالمستعمر.

اختيار الكلمة يحقق تأثيراً لسلطانها النافذ في النفوس.

• جنس الكلمة، من حيث الكلمات ذات الدلالة العقلية، والكلمات ذات الدلالة الوجدانية، بحسب شريحة المخاطبين.

• الدينامية، ويكون ذلك بقدرتها على التداول الزمني الحيوي دون توقُّف.

• موقع الكلمة في اللغة، وتداولها المشهور بين الناس، فهناك كلمات معبّرة عن جملة كاملة، مجرد رؤيتها أوسماعها، تحقق سلطانها الوجداني المؤثّر.

• الاحتواء الشامل، والتعدد في الدلالات، بحيث يفهمها كلّ (واحد) يراها.

٢ ـ **مؤثرات من خارج إطار الكلمة**؛ أيْ: التي تؤثّر عليها سلباً أو إيجاباً وهي:

• الوعي الاجتماعي الثقافي، كونه المستَقْبِل الأول للكلمة المستخدمة، وبالتالي الخاضع الأول لسلطتها في تشخيص صورة الحدث.

• الوسيلة، وخاصة حجم الوسيلة كي تكون ضمن مدى الرؤية المباشرة وتلتقطها عدسات التصوير، لنقلها إلى الفضائيات، بما يخدم الحدث لدى الرأي العام (الخارجي)، مع مؤثرات أخرى معزّزة للحدث الداخلي[١].

---

(١) الدكتور ريكان إبراهيم: علم النفس والتاريخ، بغداد، الشؤون الثقافية ١٩٨٨م، ص٥٥ و٦٤.

=

• ثقافة المجتمع، وعلاقته بالفلكلور الشعبي ودور اللهجة في تجسيد شخصية الفرد وتراثه الوطني باللغة الفصحى، وعليه تكون القدرة على المزاوجة بين ما يفهمه العامة وبين ما يتطلبه الحدث لغة في اختيار كلمات وسطية مرنة. ومن هنا نجد أنَّ لهجات الشخصيات التي تستخدم في المسلسلات والبرامج التلفزيونية، خاصة منها في شهر رمضان، تسهم بقوة في نقل الحدث وتناغمه مع الضمير العام، محققاً لسلطة الكلمة لا تقل عن سلطة الثورة ذاتها. ومن هنا فإنَّ اختلاف النظرة الفردية للكلمة في استهلالها تدليل على سعة الاستدلال لا على ضيقه[1]. والسبب أنَّ للكلمة عامل المكانة الذهنية والوجدانية، لذا سرعان ما تبحث (الكلمة) عن حيِّزها وحجمها من خلال الفهم المتبادل والاستخدام الواسع، فتكون فاعلة مؤثِّرة، لهذا تخشى السلطة الحاكمة الدكتاتورية الشعراء والهزَّاجين والكتابات على الجدران، وتلك التي تعرضها الفضائيات

= رأى بعض المشاهدين في المسلسل الشامي الذي عرض في رمضان (باب الحارة) مقدمة نفسية للثورة السورية الآن. خصوصاً وأنَّ عَلم الثورة المرفوع اليوم هو نفس علم الاستقلال الذي ظهر في المسلسل المذكور. وفي هذا دليل أنَّ الشرعية الثورية تنتمي إلى الوطن في حلقاته المشرقة في الذاكرة. وكلما كانت الذاكرة قريبة من الحدث المشرق، تعاطف معه الجمهور بالحنين والحماس في الميدان. لذا نرى رفع صور رموز الثوار التاريخيين، جزء من إعلام الثورة المضاد للسلطة الظالمة.

(١) D.Hudson, Sociolinguistics, Cambridge Univ, London,1980; p: 65.

بشكل مكرر على الناس. وبذلك تُلخِّص الكلمة الحدث تلخيصاً نابضاً بالحياة، لا تلخيصاً اختزالياً هابطاً. وفي الغالب يطلق على هذه المرحلة جمعة الرحيل أو الخلاص. لكن رحيل مَنْ والخلاص ممَّنْ؟ الثورة تعني الخلاص من السلطة الحاكمة، ورحيل رموزها بل ومحاكمتهم.

وأما السلطة فتسعى لتجيير الشعار برحيل الخطر عن (الوطن) والخلاص من (الفوضى) التي سببتها الثورة بزعمهم. ونراه رحيل المواجهة وتأجيل الخلاص من المعركة الحاسمة، وفيما يأتي نبيِّن لماذا؟

إنَّ هذا النوع من الثورات الجديدة، إذا لم يحقق انتصاره خلال هذه المرحلة فلن يحققها بشكل حاسم سريعاً، صحيح أنَّ الثورة لن تسمح بعودة عقارب الساعة إلى الوراء، لكن الهدف الأكبر منها بقي مؤجلاً، وهو إسقاط النظام.

ومن هنا يضيف الثوار (مراحل أخرى) لتضميد الجراح؛ مثل أسبوع الصمود وأسبوع القوات المسلحة وأسبوع شباب الثورة... إذاً: الثورة التي لا تحقق النصر الكبير في زهاء سبع مراحل لن تحققها بالوقت الإضافي، فهذا هو قانون هذه الثورات، إلا إذا حصل تدخُّل عسكري خارجي... لذلك بعض الأنظمة أدركت هذه الحقيقة فسعت إلى عسكرة الثورات، والسبب أنّ زخم الثورة سيتلاشى، ويصاب بضعف حيوية الاندفاع وقلَّة الحماس؛ كموج البحر يصل (متعباً) عند ملامسة الساحل الصخري. إلا أنَّ القوى الخارجية التي أعلنت

دعمها للديمقراطية لن تتعاطف مع الثورة بعدما (تأخرت) في تحقيق النصر المنتظر. وستستجد عوامل أخرى تساعد على تشتيت الدعم الأوَّلي. فطبيعة البشر الوقوف إلى جانب المنتصر ولو كان المنهزم مظلوماً.

إنَّ هناك تغييراً أحدثته الثورة في بنية السلطة حتى لو لم تحقق الثورة نصرها الكبير، وهو (عقدة الذنب) في الوعي العقلي لدى منظومة السلطة؛ لكنها لا تعلنها للملأ... وربما تجعلها أكثر قرباً من الشعب بعدما (تنجو) السلطة من الثورة. والشيء الذي يظهر بعد (تهافت) الثورة نسبياً ما نسميه بالاكتئاب الاجتماعي في صناعة التاريخ، وخطورته أنه يقودنا إلى دراسة دور الفرد المسؤول عن صناعة الحدث في الأجيال اللاحقة، كما حصل في حالة الاكتئاب الاجتماعي بعد سقوط ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، مع فارق الزمن وحجم الحدث... ويرافق ذلك عقدة الشعور بالذنب التي تربك (العقل).

والجامع لما بين الثورة والحرب: الغضب. ومن هنا يجب دراسة هندسة الشارع الغاضب حول معرفة النسق الذي أدَّى إلى النجاح أو الفشل في المواجهة. هنا يجب التذكير: أنَّ طبيعة العصر ومزاج الرأي العام (المحلي والدولي) صارا مزاجاً مشتركاً بفضل تقنية الاتصالات والمعلومات والثقافات الجديدة. ففي السابق كانت الانقلابات تتم بمؤامرات وراء الأقبية والكواليس. أما اليوم فهي تجري على شاشات

التلفزيون كأفلام (الكابوي). ماذا يعني ذلك؟ إن درجات الغضب هي الأخرى (تطورت) قياساً عن حالات الغضب قبل عصر الإنترنيت، فكلما زادت (برودة) الجهاز، زادت حرارة الانقضاض والإجهاز على السلطة من قبل المعارضة، رغم دراية رجال المعارضة أنَّ القتل في انتظارهم عند بوابات (قصر السلطان). فهل الغضب الشعبي تعبير غير حضاري، كلما تطورت الحضارة، أم العكس؟

[٧]
هندسة شارع الغضب[1]

في مجرى الصراع بين المعارضة والسلطة في أول جمعة، تسعى الأخيرة عبر رجالها وعيونها وآذانها السرّية والعلنية إلى رصد بؤرة الثورة من خلال أول تجمع لها في الميدان. لهذا نلاحظ كثرة أصحاب آلات التصوير تحت أغطية: الإعلام والصحافة والتلفزيون... ووكالات الأخبار الدولية. بعض منهم يصورون الوجوه التي تقود المظاهرة، وبعضهم يصوِّر الذين يهتفون لإثارة الحماس والتوقُّد الجماهيري، لكن هناك مَنْ يصوّر شيئاً آخر، قلَّما يلتفت إليه الجمهور وهو في زحمة المتظاهرين، أولئك يصوّرون أطرافاً وأجنحة (الدائرة)

---

(١) هندسة شارع الغضب: هي الحالات الجديدة من الحراك الاجتماعي (الواعي) فكرياً على مستوى الشارع العربيّ لمواجهة الديكتاتوريات العنيدة، من أجل إقامة دولة الحريّة والعدالة والكرامة. صحيح حتى الآن لم تتحقق مضامين هذه الشعارات الوطنية القومية المشروعة، إلا أنَّ ثمة مستجدات ومقاربات (أفضل) من السابق، على الرغم من محاولات إجهاض التجربة الجديدة من قبل الثورة المضادة، ومن قبل (الطفيليين) الذين يسرقون نتائج الثورة، وبخاصة منهم الجماعات السياسية المستترة بالدين.

للمتظاهرين عن اليمين وعن اليسار وفي الوسط.. فمنْ هؤلاء يا ترى، ولماذا؟

إنَّ التظاهرة مهما كانت عفوية أو غير عفوية، لا بدَّ أنْ تستقر عند (خارطة) خاصة بها؛ كبؤرة محاطة بدوائر وأطراف منتظمة وغير منتظمة. ولتقريب المرتسم فكلّ مظاهرة، وخاصة الكبيرة منها، تنقسم إلى الآتي:

- الطليعة... (رأس المواجهة الأمامية للحشد).
- القلب (المتن). وهو جسد المظاهرة الأكبر والأقوى.
- الجناح الأيمن على شكل هلال مفتوح باتجاه الداخل.
- الجناح الأيسر على شكل هلال مفتوح باتجاه الداخل.
- الخلف على شكل هلال مفتوح، باتجاه الخارج.
- القريبون من المظاهرة الموجدون في عدة اتجاهات (متناثرة) الأبعاد.
- الذين ترفعهم الأكتاف للهتاف، ولتوجيه النسق في الحركة والتوقف.

وسيتم توضيح ذلك لكلّ حالة ووضع، ودلالة ذلك للسلطة. وهنا نؤكد أنّ ما يعتبر إيجابياً للثورة المعارضة هو الاتجاه المعاكس للسلطة، والعكس صحيح.

وهناك عدة عوامل مشتركة ظاهرة ومستترة لتشكّل المزاج المعارض[1].

---

(١) هنا نشير إلى تجربة أحادية لتحديد مصادر (الشخصية) الشرقية =

في ضوء ذلك، رجال الطليعة في الميدان يخضعون إلى هندسة (متحرّكة)، هي هندسة الغضب، لذا رأى بعض المحللين أنَّ تسمية ثورات الربيع العربيّ الأجدى أنْ تُسمَّى «ربيع الغضب العربي». فما هو التصوُّر الذي ستكون عليه (هندسة) الشارع الغاضب للحشد إذاً؟ سنشير إلى الملاحظات الخاصة بقلب الحشد، وما يهمنا هو الحشد الدائري على تعدد هذه الحشود الحركية.

١ ـ إنَّ الثورة التي تخطط تحركها بموجب الحشد الدائري ستكون أقرب إلى التفوق الميداني وتحقيق النتيجة السياسية على إجراءات السلطة. ويجب أنْ تراعي مكان تواجد الحشد وليس مجرد (دفع وإخراج) الحشد لمصيره العام.

٢ ـ إنَّ الحشد الدائري يمتاز بقوة التركيز من مختلف جوانبه، ويوفِّر زخماً للأجنحة، لا يتهافت ولا يخبو ولا يُخترق من قبل عناصر مكافحة (الشغب).

= في عصر العولمة. لقد وجدنا أنَّ ثمَّة أسباباً هامشية تشارك في الثورة؛ مثل دور الأزياء التي تسهم بنسبة غير قليلة في تشكيل مزاج النخبة، والرؤية الحركية الاجتماعية العامة بغض النظر عن النسبة السلبية أو الإيجابية في هذه الرؤية. كما يسهم كُتَّاب السيناريو وأعمدة الصحف في تأجيج الإحساس الغاضب بما لا يقل عن الإعلام السياسي. وهذا يستوجب من الخبراء المختصين (برصد) الحركات الاجتماعية والسياسية وضع معايير حضارية جديدة لدراسة (الغضب). رغم أننا أشرنا إلى بعضها في الصفحات السابقة.

٣ ـ إنَّ السلطة تخشى هذا النوع من الحشود (الدائري) لذلك تسعى إلى مواجهته باجراءآت (بوليسية) فإنْ فشلت، وهي غالباً ما تفشل، تلجأ إلى الجيش وهي غير مرتاحة له خياراً أخيراً، خشية من الانقلاب العسكري. لذلك تُدخل عنصراً جديداً للصراع: الميليشيات. وهذا كان واضحاً في كلِّ التجارب العربية المعاصرة وما زال.

٤ ـ فيما نجد السلطة تمارس الإجراءات التقليدية القاسية؛ كاستخدام الغاز المسيل للدموع والضرب بالعصي، مثلاً: تلجأ قبل الاستعانة بالجيش إلى إجراءات بدائية لكنها خطيرة ضد الحشد الدائري، منها:

أولاً: محاولة إبعاد الحشد عن المساجد؛ لأنَّ المسجد يقدِّم للثوار خدمات الماء والحمام والراحة النسبية؛ كالقيلولة القصيرة، كذلك توفير الوضوء للصلاة.

ثانياً: قطع وصول الماء العذب، وخاصة القناني التي يحملها الأفراد، تحت حجج وجود مخاطر استهداف المتظاهرين من خلال إدخال مواد سائلة!!!

ثالثاً: تشجيع باعة الطعام المتجول للوقوف قرب الحشد، وبيع المتظاهرين خاصة (مأكولات) رخيصة الثمن... والهدف من وراء ذلك، بعد منع إدخال الماء للشرب، تعريض المتظاهرين للعطش الشديد، فهذا النوع من الأطعمة الشعبية يؤدي إلى العطش لا محالة أكثر من غيره... وبعض الباعة المتجولين من رجال الأمن السرّيين بلباس الكسبة. وتعطيش

الخصوم سياسة قديمة قامت بها السلطات ضد المناوئين لها. وأول منْ ابتكر هذه السياسة اللاإنسانية رمسيس الثاني فرعون مصر، عندما آمن سحرته بربِّ موسى وهارون، فتوعَّدهم بحرمانهم من الماء بعد وضعهم في أرض جافة ومالحة، وهي المنطقة المسماة (جذوع النخل) في صعيد مصر. وهذا يؤكد ما قلناه عن طبيعة الصراع العدواني من قبل السلطة ضد شباب الثورة، حتى لو وصل إلى القضاء عليهم موتاً، بطرق لا تبدو من صنع السلطة نفسها.

رابعاً: وهذه أخطرها... استخدام الكلاب (البوليسية) المدرّبة على مواجهة الحشود الغاضبة... وذلك لتحقيق الآتي:

- عدم (قتل) المتظاهرين علانية لقطع الطريق على (اتهام) السلطة بالقتل إعلامياً... فعضَّة الكلب مؤذية وسامة (داء الكلب) لكنها ليست كالرصاص.

- إنَّ الكلاب يصعب السيطرة عليها، وهي عادة مدرَّبة للنيل من أكثر من شخص من دون تردد.

- لتوجيه إهانة للمتظاهرين: أنكم أقلُّ قيمة لدينا، فلن نواجهكم إلا بها، في وضع ثائر أصلاً على قضية الكرامة بين الحاكم والمحكوم. فيجدها أمامه ما يزيد من اتِّقاد غضبه، إلى أقصاه. فهي هندسة لا تقوم على ركائز صلبة.

إلا أنَّ حقيقة الموقف هذه لا تخدم السلطة لأنها تؤجج (الغضب) أكثر ما تجعله يتراجع؛ لأنَّ قضية الكرامة الإنسانية

(جوهر) الرجولة؛ سواء في الميدان أو في خارج الميدان. وكم من موقف دفع صاحبة لمواجهة التحدي الشديد بموقف كريم. فليس كلُّ غطرسة للقوة يخشاها الناس، فكيف إذا كانوا مؤمنين أنَّ هذه القوة ظالمة، والوقوف ضدها من الجهاد، بل الاستشهاد دونها في سبيل الله ﷻ من الواجبات.

وبالنتيجة: المواجهة في أساسها هي فنُّ إدارة أزمة، وهذا الفنُّ يحتاج إلى الثقة في القائمين به، فإذا اندلعت الثورة من أجل الحريّة والعدالة والكرامة، فماذا بقي للسلطة الجائرة؟ ليس إلا (الكلاب) التي لا تمتلك أيَّة قدرة على إدارة الأزمة. فمنْ نال الخسران؟

وإذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه، ولو كان الحيوان الأعجم. وأمامنا التجارب المعاصرة(١) فيها الإجابة القاطعة على ما نقول. ولا نظنَّ مَنْ حَكَم عشرات السنين ولم يتعلّم من التاريخ ولا من تجاربه الخاصة، ولا من احتمالات الخطأ

---

(١) لقد حكم زين العابدين بن عليّ تونس كرئيس لنحو ربع قرن، وبعد سنة من رئاسته استدعى عدة شركات أوربية لوضع سيناريو له، عن كيفية الهروب السريع في حالة حصول انقلاب ضده، وفازت شركة إيطالية بهذه (المسابقة) عندما حددت له مسارات الهروب والزمن اللازم. لكن بعد الثورة التونسية هرب أسرع من الزمن الذي وضعته تلك الشركة. . . والسبب أنّ الغضب الشعبي طاقة استثنائية، عندما يدرك الديكتاتور مصيره النهائي يصاب بالشتات النفسي والفكري والانفعالي، فيستسلم قبل إذاعة البيان الأول. . . فهو طبل لا يحتمل ثقب إبرة، فلا تسمع له إلا صفير الهواء خلفه.

والصواب، سيتعلّم (كلّ شيء) في يوم وليلة، والمجهول يحيط به...

إنّ ممارسات بعض السلطات العربية اليوم فاقدة لأخلاق النصر، وكذلك فاقدة لأخلاق الهزيمة. ففي الماضي كنا نقرأ ونسمع عن مواقف لزعماء يتعاملون بكرامة ذاتية وموضوعية مع خصومهم، فلو شاءت الأقدار أنْ تخسر، فتعلَّم كيف تخسر مع الاحتفاظ بأخلاق الهزيمة، فللنصر أخلاقه وللهزيمة أخلاقها...

ومنْ يخسر أخلاق الهزيمة، سيضيّع على تاريخه (الاحتفاظ) بما سبق أنْ سجَّله في صفحات الأيام من مآثر وكلمات.. ولو كانت صغيرة وقليلة.

[٨]
أجنحة الحشد

إنَّ أجنحة الحشد في المظاهرة عن اليمين وعن الشمال (اليسار) هي أبواب الولوج إلى القلب، وخاصة في الحشد المستطيل... فيما يعتبر الحشد الدائري أكثر تأميناً بحكم الشكل الهندسي للحشد وكثافته (القوية)؛ مما يُصَعِّب اختراقه بسهولة. إنَّ شكل الحشد عند الأجنحة، هو الشكل الهلالي محوره من الخارج إلى الداخل. وفي الغالب يكون في الأجنحة (الوسطاء) إذا كان قادة المعارضة يقيمون في الخارج، أما إذا كان القادة يقيمون في الداخل؛ كالثورة المصرية (٢٠١١ ميلادية) فهم غالباً يكونون عند الأجنحة، وهذا يعود لعدة أسباب:

الأول: إنَّ التواجد عند الجناح يتيح مجالاً لرؤية نصف قطاع الحشد بسهولة (أيْ: نصف قطرالدائرة). وعند الضرورة فيجب اتخاذ قرار ميداني، يكون القرار سريعاً، فعالاً، ومتفاعلاً مع الحشد، من دون بيروقراطية (الزمن).

ثانياً: توافر القدرة على التواصل بين الميدان (الحشد) ووسائل الإعلام القريبة من الميدان (الصورة الذهنية).

ثالثاً: إنّ الأجهزة الأمنية لا تفطن إلى وجودهم بسهولة عند الأجنحة لتركيزها على المقدمة والقلب، غالباً.

رابعاً: إنَّ القادة مسؤولون عن توفير الخدمات الأساسية للحشد، وهذا الأمر يحتاج إلى متابعة مباشرة وقريبة من المصادر، لغرض الدعم.

خامساً: إنَّ القادة يدرسون (المناخ) اليومي للشارع والرأي العام، ليضعوا ترتيبات متجددة للحشد اللاحق، قبل نزوله إلى الشارع والميدان في اليوم التالي، وهذا سيتعب أجهزة السلطة التي تخضع عادة للبيروقراطية والروتين.

سادساً: إنَّ هذا النشاط (المدروس) بعناية سيبلور شخصية القيادات، من شخصيات ميدانية إلى شخصيات جامعة لما بين الميدان والعلاقات العامة مع الرأي العام، ما يساعدهم لاحقاً على تحقيق القرارات القريبة من نبض الشارع والمواطن، دون أنْ تمنعهم (المكاتب) عن هذا التفاعل.. طبعاً بعض الثوار يصابون بأمراض السلطة كغيرهم من البشر، لكن نحن نقصد بذلك الغالبية، فلكلٍّ قاعدة استثناء، والاستثناء ليس هو القياس.

وهكذا تكون الأجنحة بوابات إلى الحشد، وبالمقابل نوافذ من الحشد إلى العالم المحيط بالميدان: الأصغر والأكبر. ويبقى الحشد الدائري الحصن الحصين الذي لا يقهر. وتلعب هندسة المدينة دوراً في هندسة الحشد الغاضب.

ففي عواصم الثورات توجد (هندسة) للمدن تفرض وضعها على الشارع...

ففي القاهرة كان ميدان التحرير (الدائري) محاطاً بمنافذ مؤدية إلى الميادين الأخرى، ما جعل الحشود في حالة نسغ (إمداد) داخل وخارج، من دون (قيود) الجغرافية المكانية. فتشكّل الحشد الدائري، وهو أقوى الحشود المقاومة للاختراق والتفريق. لقد تفاعلت هندسة المكان مع هندسة الغضب، فكان النجاح المضمون. أما في تونس فإنّ هندسة المدينة كانت على شكلين:

الأولى: خارج العاصمة (الريف) ففيها الاتساع المفتوح.

الثانية: في العاصمة، فكان الحشد المتعرج والطويل.. ولولا التدخُّل المعزز للثوار من أطراف داخلية وخارجية (بعيدة) عن الشارع، لما رحل طاغية تونس بسرعة. فيما نجد في صنعاء اليمن، الحشد الطويل، وهو أضعف الأنساق هشاشة في هندسته المقاومة، ولولا (الاتفاق الخليجي) لما تحقق للثورة شيء كبير. أما في المدن السورية، ومازال الأمر غير محسوم فإنَّ هندسة المدن العتيقة فرضت عليها هندسة غضب هي أقرب إلى نظام العراضات (الرقصة الشعبية السورية للرجال). لهذا استغلت من قبل السلطة فكانت تتلاشى المظاهرات إلى الأحياء القديمة عند مباشرة الضرب الشديد...

فيما وجدنا في ليبيا القذافي أنَّ هندسة الغضب أخذت منذ البداية النسق العسكري؛ لأنَّ الأرض الليبية واسعة المساحة، قليلة العمران. فيما نجد في العراق مزيجاً من مختلف أنماط

الهندسة التي ذكرناها في أعلاه... ما يعني أنَّ انطلاق الثورة فيه سيكون (طوفاناً) شاملاً المكان والزمان والإنسان. فنصل إلى مرحلة مغايرة إلى ما بعد الغضب. وهذا (خارج) دراستنا المقصورة على الغضب في الشارع العربيّ[1].

---

(١) في حديثه إلى القناة المصرية ليلة (٣/١/٢٠١٣ ميلادية) ذكر المفكر محمد حسنين هيكل أنه أبلغ السفير البريطاني بمصر قبل احتلال العراق: (إنَّ العراق آخر بلد عربيٍّ يمكن أنْ تنشروا فيه الديمقراطية). وفي هذا كان مصيباً؛ لأنَّ التكوين التاريخي والقبلي والسياسي في العراق، يختلف عن بقية البلاد العربية. ومن هنا كان الملك فيصل الأول عند المخاطبات الرسمية، وضع عبارة (الأمة العراقية) بدل الشعب العراقي، لفراسته أنَّ العراقيين (أمة من دون العرب). وأثبتت الأحداث مصداقية هذا الحال الخاص، الذي جعل بريطانيا تنسحب من العراق قبل انسحابها من الهند. كما جعل الأمريكان ينسحبون منه بسرعة فيما كانوا قد خططوا للبقاء فيه لغاية سنة ٢٠٥٠م.

هو ليس تميُّزاً أوتفوُّقاً بل هي خصوصية صلادة المقاومة الواعية... المرتبطة بعمق التاريخ والتجربة المريرة الصبورة في مواجهة الغزوات، آخرها الغزو الأمريكي لمدة ثماني سنوات، بقوّات بلغت أكثر من ربع مليون، منهم (١٥٠) ألفاً من العسكريين بأحدث الأسلحة في التاريخ، ومائة ألف من رجال أمن الشركات المحترفين، مع مئات الآلاف من المحليين المسلحين والحلفاء والجواسيس. خرجوا ولم يستردوا حتى (تكاليف) الغزو الباهظة على الرغم من كلِّ التعتيم والتضليل الإعلامي والسياسي الداخلي والخارجي. وليس من (النكتة) القول: إنَّ بعض العملاء المحليين المرتبطين بالولايات المتحدة الأمريكية (يتوسَّلون) بشكل مباشر =

هلال الحشد الخلفي

تشكل (الجبهة) الخلفية للحشد منطقة مغرية للسلطة، للنيل من الثورة والثوار المتظاهرين فهي بمثابة البطن الرخو.. وذلك لعدة أسباب:

١ ـ ضعف الكثافة العددية للمتظاهرين... قياساً للقلب والمقدمة والأجنحة.

٢ ـ إنَّ المتظاهرين في (الخلف) يصنَّفون عادة ضمن المجموعات الهامشية في الحشد، لاعتبارات نفسية وعمرية وعملية[1].

= وغير مباشر بالعودة لاحتلال العراق ولو على شكل قواعد عسكرية، لكن الإدارة الأمريكية (ترفض) ذلك، جملة وتفصيلاً. بل إنَّ جميع المسؤولين الأمريكان، وفي العراق من جنودهم أكثر مما لديهم من قوات في أمريكا، لا يعلنون عن موعد زياراتهم إلى بغداد إلا بعد مغادرتهم... فلولا أنهم يعرفون ماذا حصل لهم من خسائر فادحة ما زالت غير معلنة، لما خرجوا، حتى نفاذ (كنز النفط) من أرض الرافدين.

(١) في القديم كانت الجيوش المهاجمة تنقَضُّ على جيش العدوّ من الخلف لارباك الكتائب الضارية الموجودة في القلب والأجنحة؛ لأنَّ منطقة الخلف المسمَّاة الساقة يتواجد فيها الذين يقدّمون الخدمات للمقاتلين؛ كالطباخين والمسعفين ومخازن الذخيرة والميرة، إضافة إلى المرضى والجرحى... فتكون نقطة رخوة للجيشين، فيسهل الهجوم منها للاختراق السريع لغرض زعزعة الصفوف والأجنحة.

٣ ـ إمكانية حصر الثوار بين عناصر السلطة من الأمام والخلف مع ضرب الأجنحة واختراقها، في الوقت نفسه، لزعزعة صفوف الحشد. ربما هذا يصلح نسبياً في الحشد المستطيل، لكنه لا يفلح مع الحشد الدائري. وكمثال: لقد أثبتت الثورة المصرية فشل هذا الرهان؛ لأنَّ بلطجية النظام شنُّوا هجومهم المباغت على الحشد في ميدان التحرير من الخلف، لكنهم تفاجئوا بالردِّ الجماعي، الذي أنهى المحاولة رغم الوقت الطويل الذي أخذته. لكنها كانت القاصمة للنظام، فانقلب السحر على الساحر كما يقال، بعدها تدحرج النظام بسرعة نحو السقوط الأخلاقي والسياسي لدى الرأي العام المحلي والدولي... وفقد أيَّ رصيد للتعاطف مع رئيس نظامه، وهو في أرذل العمر، بعدما تجاوز الثمانين سنة.

ولعلَّ ما تسعى إليه السلطة من استثمار (الفراغ الافتراضي) في هلال الجبهة الخلفية لشيء (خطير)؛ لكنه لا يعمل لمصلحتها، وهو وضع (القناصة) على مدى مناسب من الحشد، وغالبية الذين تستهدفهم عمليات القنص من الأفراد المشاركين بالمظاهرة من جهة هذه المنطقة الخلفية، وهذا ليس مصادفة بل لسبب أمني... وهو أنَّ مصدر القنص لن تعرف جهته عند إصابة الهدف، كما لو كان القنص من الأمام. كما أنَّ الأفراد في الهلال الخلفي تعتبرهم السلطة من غير الفاعلين في الحشد من الناحية الوظيفية، ما سيقلل من ردود الفعل ضد السلطة بسببهم، وإنْ كان القنص سيستغل عموماً. فوق ذلك

فالقناص يستهدف فرداً محدداً للنيل منه مقتلاً وفي هذه المنطقة يكون الهدف واضحاً شبه معزول، فلا يكون هناك شاهد إثبات حاسم. عليه هذه المنطقة ليست هامشية كما يتصوَّر البعض؛ بل هي جزء فاعل من الحشد إذا تمكَّن الثوار من توظيف ذلك لصالحهم... وأهم فعالية تستثمرها الثورة في هذا النطاق (الحشد النسوي) لتشجيع المتظاهرين على الصمود.

إذاً: فالثورة بعد كلّ الجهد والحشد، لن تحقق أهدافها إلا باجتماع ثلاثة عوامل عملية مترابطة، يمكن تسميتها بمثلث الثورة، وهي:

١ ـ كسب رأي عام مؤيد للثورة من مجمل الرأي العام الوطني (خاصة من الطبقة الوسطى)[1] مع تماسك هذا الرأي

---

(١) إنَّ الطبقة الوسطى في كلِّ بلد هي عماد المجتمع. فلو افترضنا خطاً مستقيماً من مائة درجة، من رأسين، فإنّ الطبقة العليا لن يكون لها أكثر من عشرة درجات في أحسن الأحوال عند الرأس الأول. وعند الرأس الثاني الطبقة الدنيا، فلن تتجاوز أكثر من ستين درجة في أسوأ الأحوال. فستكون حصة الطبقة الوسطى الثلاثين بالمائة من باقي الدرجات. لذا يطلق عليها: سفوح الجبل؛ لأنَّ للجبل طبقات ثلاث متدرجة:

الأولى: القمة (١٠٪). الثانية: القاعدة (٦٠٪). الثالثة: السفوح (٣٠٪).

بمعنى لا توجد بين القاعدة والقمة وبالعكس علاقة ترابط حقيقية من دونها. وفي المجتمع فإنَّ الطبقة الوسطى هي صاحبة الحركة النسغية الصاعدة والنازلة بين القمة والقاعدة الاجتماعية والسياسية =

ضد تحديات السلطة لفترة لا تقل عن شهرين متتابعين. . وهذا يعتمد على قيادة الشباب كطليعة للثورة السلمية المرتبط بعمق المعاناة الشعبية ضدَّ سلطة النظام الحاكم.

٢ ـ أنَّ يكون هذا التأييد الوطني علنياً وواضحاً وثابتاً وخاصة في العاصمة، ويستهدف النظام الحاكم، ورأس الفساد والظلم؛ لأنّ (كثيراً ما يمكن تتبع أصل المتاعب، إلى فرد واحد قويّ هو المحرك. فلا تحاول التفاوض معه، فهو عصيٌّ على الإصلاح، حيِّد نفوذه بعزله أونفيه، وجّه ضربتك إلى

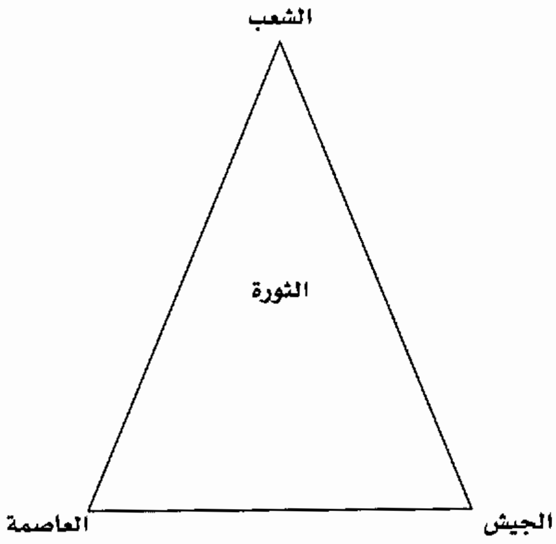
= والاقتصادية والثقافية في المجتمع والدولة، فمن هذه الطبقة: المحامون والأطباء والصيادلة والمهندسون وضباط الجيش والتجار ونخبة المجتمع الصحفي والفكري والعلمي والعسكري والتجاري والدبلوماسيون (خارج بلادهم) والفنانون والمستشارون وكبار الملّاك وأغنياء المزارعين ورواد البنوك والبورصات وضباط الأمن والمخابرات وغالبية حملة الشهادات العليا ومن ذوي المهن الخاصة كالصاغة والصيارفة وملّاك الأسواق (المولات) وأصحاب الشركات المنتجة والمصانع ورجال المال والأعمال والقضاة وأساتذة الجامعات وكبار الناشرين وملاك شركات الإعلان والدعاية والمقاولات وبعض رجال الدّين وكبار الموظفين من المدراء. من أجل ذلك فهي أهم الطبقات بل إنَّ أيّ مجتمع تتهافت فيه الطبقة الوسطى، لن يستطيع النهوض، كما هو المجتمع العراقي بعد الاحتلال. . . بسبب استهداف هذه الطبقة المنتجة بالقتل والاغتيال والطرد والسجن والشتات. إنَّ الطبقة الدنيا (تقود) الشارع، والطبقة الوسطى تمسك بمفاتيح التوازن وصناعة المستقبل. وأول الخاسرين الطبقة العليا؛ لأنَّ أغلب أطيافها جزء من السلطة الحاكمة.

مصدر المتاعب، وستتفرق الغنم)[1].

٣ ـ كسب رجال القوات المسلحة إلى جانب الثورة، أوعلى الأقل العمل على عدم تصدّيهم للثوار؛ أيْ: وقوفهم عند خط (الحياد الإيجابي) الوطني.

إنَّ قانون النصر، هكذا هو كما في المثلث، وهو من تصميم المؤلِّف، وبدون هذه الثلاثية الجدلية لن يتحقق التغيّر المنشود، ولو بلغت الدماء الركب كما يقال في كلام أهل الخطب والكتب.

مثلث الثورة



(١) روبرت غرين، م.س، ص٥٨٢.

يمكن نجاح الثورة بتفاعل اثنين من العوامل أعلاه على أنْ يكون عامل (العاصمة) من بين هذين العاملين، شرط بقاء العامل الثالث على الحياد، فمثلاً، تتحقق الثورة بتفاعل الشعب والعاصمة إذا بقي الجيش على الحياد، كما حدث في مصر (٢٠١١م)، ولكن لو تفاعل الشعب والجيش بعيداً عن العاصمة فلن تتحقق الثورة كما حصل في ليبيا، كذلك حصل نفس الشيء في تونس، لكن بعدما ترك القذافي العاصمة طرابلس إلى مدينة سرت فقدت منه قدرة المبادرة، كذلك بعد دخول الثورة إلى العاصمة تونس من الأطراف نجحت بسرعة مذهلة. إذاً: السيطرة على العاصمة المفتاح الحقيقي لتحقيق الثورة عملياً. إنَّ العاصمة مفتاح الإقليم والشرعية. واليوم في مصر نتيجة عدم تأييد أغلبية سكان العاصمة (القاهرة) للنظام الجديد، كما ظهر في نتائج صناديق انتخابات الرئاسة أو في الاستفتاء على الدستور، وتبعاً لذلك فإنَّ استمرار استقرار النظام الجديد ليس مضموناً، بغض النظر عن صراع الأطراف الداخلية. هذا القول من منطق العلم الميداني، لا من استدلال الإعلام الدعائي.

[٩]
الصراع الإعلامي

في علم الإعلام دائماً هناك الصورة الذهنية (Image) وعكسها الصورة النمطية (Stereotype). والصورة الذهنية هي المعاني والاتجاهات والمعرفة والآراء المشتركة بين الجمهور عن (المنظمة) التي نتجت عن العمليات أو الاستراتيجيات الاتصالية التي قامت بها المنظمة المعنية، داخلياً وخارجياً لتحقيق الصورة الاتصالية، لما يميّزها عن باقي المنظمات.

أما الصورة النمطية فهي الصورة التي تؤثر على الاتجاهات والمعتقدات التي تشكلت خلال مرحلة الطفولة بما يؤثر لاحقاً على إدراك الفرد للبيئة المحيطة والمجتمع ورسم التوقعات والخطط عنها مما رسب عنده من معلومات... فهي تكاد تكون سلبية أكثر من الصورة الذهنية التي تقوم على السمات الإيجابية في الغالب(١). وبالتالي ستسود هذه الصورة عند الآخرين.

من هنا فإنّ جوهر الصراع بين الثورة والسلطة يكمن في

---

(١) الدكتور سليمان صالح: م. س، ص٢١ و٢٢ وص١٥٦.

كسب الصورة الذهنية (للذات) وإلصاق الصورة النمطية بالخصم[1]. وهذا يتم عبر وسيلة فعَّالة ومختزلة هي حرب الصور، ما يعني حرب الفضائيات أو كما يسمى (فيلق الإعلام). إنَّ صورة الخصم لا تتكون إلا بعد تشكيل صورة الذات (Self-image) لأنّ صورة الخصم (Enemy-Stereotype) عادة تكون أكثر مساحة وتفصيلاً من صورة الذات في مجمل الصراع. وعلى العموم فإنَّ الصناعة الإعلامية في هذا الصراع تستوجب المراحل التالية:

١ ـ صناعة أزمة للمواجهة قبل بدء المواجهة، لشدّ الرأي العام المحلي والخارجي إلى أحوال الخصم؛ أيْ: (أركان السلطة) في الغالب.

٢ ـ تشويه صورة الخصم.. بكشف سلبياته (النمطية) وتوظيفها بالكلمة والصورة بكثافة إعلامية لأكثر من جهة في آن واحد.

٣ ـ المواجهة المباشرة في الميدان، وحرب الصور وتسجيل المواقف المثيرة.

٤ ـ ما بعد الأزمة تتشكل المواصفات الجديدة، هل هي صورة ذهنية إيجابية أم صورة نمطية سلبية؟ وعلى ذلك يتم (تداول) الوصف إعلامياً وسياسياً.

ونستطيع القول: إنَّ أصل المواجهة بين الطرفين

---

(١) Real.M.Michael; Super Media; London: Sage Publication 1989.P214.

المتناقضين، هي مواجهة إعلامية، تتحول إلى مواجهة سياسية بديلة، بعد اكتشاف حجوم القوى المتصارعة من خلال الفعل وردّ الفعل. إنَّ مجمل الصراع لا يبدأ من فراغ؛ بل له خلفية اجتماعية، فلا بدَّ من العودة إلى الجذور لتحديد قسمات هذا الحراك.

[١٠]
العودة إلى الجذور

والآن: قد تحقق الخروج بقيام مقدمات الثورة ضدَّ الحاكم والنظام الدكتاتوري. بمعنى أنَّ الفترة السابقة لهذا الخروج كانت تتفاعل فيها عوامل عديدة، مباشرة وغير مباشرة، حتى لو لم يكن الناس يفقهون هذه العوامل لأنّ إحساس الإنسان الصادق بوصَلته، وإنْ كان لا يقرأ ولا يكتب. ولن نكرر العوامل التقليدية المحفِّزة للثورة كالعوامل الاجتماعية والاقتصادية.. بل سنتناول أربعة مفاهيم (غابت) عن أغلب المراقبين، هي:

- الثقافة السياسية للفرد والمجتمع.
- التنشئة السياسية للفرد والمجتمع.
- التنمية السياسية للفرد والمجتمع.
- شخصنة السلطة للفرد والمجتمع.

وسنرى كيفية تأثير هذه العوامل على نشوء الفرد/المجتمع السياسي المتكون في التاريخ الباحث عن المستقبل. وما هو العائق المانع له ليكون، وكيف سيصل إلى هدفه وبأيّة وسيلة وأسلوب؟ وبالتالي سنفهم أنَّ الثورة ليست خروجاً وتمرُّداً

معادياً وكريهاً وفوضوياً؛ بل ضرورة حتى للنظام السياسي القائم الظالم إذا وُجِدَ فيه منْ يفهم حركة التاريخ[1].

إذاً: لدينا تاريخ وجيل متكون، وعائق مانع حاضر، وهدف ومستقبل...

وبموجب نظرية الاستبصار والرؤية في علم النفس، لا بدّ من وسيلة مندمجة مع أسلوب عمل لعبور هذا العائق المانع. إنه: الجسر، كناية للحركة، بل الحركة هي الجسر الرابط بين التاريخ والمستقبل، بعدما اهترأ الجسر القائم بحكم الزمن في اندثار الأشياء، وأوشك على السقوط. وبهذه الرؤية تصبح الحركة إنقاذاً للجميع بما فيهم النظام السياسي، وليست (بديلاً) له وضدّه.

نحن لا ندعو إلى حلٍّ توافقي بل إلى حلٍّ تفوقي وخلّاق، يحمل روح التاريخ المشرق، ويكتب بقلم المستقبل ملحمة الشعب نحو الحريَّة التي ولدت مع الناس وعاشوها أحراراً، مع عدالة وكرامة وتنمية تليق بآدمية الإنسان: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟). كما قالها سيدنا عمر بن الخطاب. والحريَّة نزعة الآدمي إلى الحياة، وشرط تحقيق هذه الحريَّة الحقيقية، الإيمان بها سلوكاً حضارياً ملتزماً بالقيم، من دون إلغاء الآخر بالقانون نفسه. وهذا يحقق منظومة الثقافة السياسية للفرد والمجتمع منذ مرحلة الدراسة الابتدائية لجيل الناشئة. لأنّ كسب الناشئة فيه كسب للمستقبل.

---

(١) الدكتور جمال البدري: فيزياء وكيمياء الشخصية الفردية والجماعية، بيروت، دار النفائس للنشر، ٢٠١٠م، ص٩، ٤٠.

[١١]

الثقافة السياسية للفرد والمجتمع

على الرغم من أنّ جذور هذا المفهوم تعود إلى أيام اليونان، لكنه أخذ وضعه الدراسي لاحقاً. يرى المفكر الفرنسي (موريس ديفرجيه) أنَّ المقصود بالثقافة السياسية هو الجوانب السياسية من الثقافة، هي ذاتها تكون منها تركيباً منظماً... وبالتالي الثقافة السياسية تشكل جزءاً من الثقافة السائدة في المجتمع قيد الدراسة. وواقع الثقافة السياسية إنما يعتمد على مستويات:

١ ـ الفرد: أيْ: كيفية ونسبة توجُّهه نحو العناصر الأساسية في النظام السياسي.

٢ ـ التوجُّهات نحو الآخرين من خلال نظريات الاختلاف السياسي مع قوى الصراع كالأحزاب الوطنية وقوى المجتمع المدني.

٣ ـ النظام السياسي؛ أيْ: موقف الجمهور في مجتمع معيَّن من النظام السياسي القائم، وكيفية تعامل الأفراد مع مؤسساته[١].

---

(١) الدكتور صادق الأسود: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة بغداد، ١٩٨٦م، ص٢٤٦.

ومن خلال مستوى الفرد والنظام السياسي، نستطيع معرفة مقومات هذه الثقافة، وهي:

ـ التوجهات نحو النظام السياسي، وكيفية رؤية الفرد أو الأفراد لمؤسسات هذا النظام ورموزه، وقيمه والقوى المشاركة فيه، وقراراته والتفاعل معها سلباً أو إيجاباً، مع هامش مرونة لامتصاص الغضب الشعبي.

ـ التوجهات نحو النشاط السياسي الذي يقوم به الفرد ذاته، ومدى إسهامه في الربط بين السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي. مع الأخذ بعين الاعتبار العدد الأكبر من الأفراد (الغالبية).

وعليه؛ فإنَّ الثقافة السياسية تؤثِّر في الحياة السياسية بصورة عامة وعلى النظام السياسي القائم بصورة خاصة. لذا يعمل النظام مع قواه المتحالفة على صياغة هذه الثقافة الضابطة، ويعتمد ذلك على مدى صلابة ووعي الأفراد، ومدى انسجامهم مع هذا النظام... وكلُّ ذلك يعتمد على التنشئة الاجتماعية السياسية وعلاقتها بالثقافة السياسية. من هنا: (إنَّ الثقافة السياسية هي نتاج تاريخ كلّ من النظام السياسي والأفراد الأعضاء في النظام، فهي مغروسة في الوقائع العامة، وفي التجربة الشخصية الخاصة) بحكم الجغرافية(١).

---

(١) Dowse, Robert E.and Hughes John A.Political Sociology. John Wiley and Sons press, London.1972.P: 227.

ومن خلال الثقافة السياسية تتفرَّع الثقافة الشاملة الوطنية، وهي الثقافة المسيطرة، والثقافة الفرعية كالثقافة العشائرية والمناطقية، وهي في الغالب ثقافة معاكسة للثقافة الوطنية، لكنها ترسم (مسار) الفرد السياسي والنفسي.

إنَّ الفرد بين قوسي الميلاد والموت، يعيش في شرنقة السياسة قبل الطيران.

ومن هنا يجب إدخال الوعي السياسي إلى منظومة الدراسة والتعليم وحتى الإعلام، بجرعات تتناسب مع المستوى العمري للأفراد، لتحقيق الوعي الجمعي في النشأة والسلوك، شرط دراسة المتغيرات المرحلية والتكييف مع المستجدات بمرونة حضارية؛ لأنّ القيم كالمواد تحتاج إلى (الترميم) الدَّوري.

إنَّ التربية والتعليم في مرحلة الطفولة (الابتدائية والأساسية) أهم مرحلة لزرع الوعي الأوَّلي لمفهوم (الأمن) عند الناشئة؛ لأنَّ الوعي الأمني يتكون من دوائر مترابطة كالآتي:

أولاً: دائرة الأم، حيث ينمو الطفل في أحضان آمنة ومنزل آمن، فينمو سوياً.

ثانياً: دائرة العائلة، حيث يلعب بين إخوته، من البنين والبنات، من دون الإحساس بجوّ وسلوك العدوان الطفولي.

ثالثاً: دائرة الحيّ أو المحلّة، حيث يخرج ويختلط بأقرانه الصبيان، فيلاقي بيئة لعب طبيعية بأقل المشاكل.

رابعاً: دائرة المدرسة، وهي الأهم، إذْ يذهب الغلام (يومياً) إلى المدرسة لتلقّي مبادئ المعرفة التربوية، ويختلط

بزملاء له من التلاميذ، فيلاقي من البعض الأمن والودَّ، ومن آخرين (التنمُّر) والتحرش، ومن هذه الدائرة يبدأ بإدراك الفرق بين الأمن واللاأمن.

خامساً: دائرة الجامعة: وفيها (تستقر) انفعالاته وتصوراته عن مفهوم الأمن، ببعده المادي، وببعده النظري، سواء من خلال الدراسة أو التثقيف الذاتي (القراءة) أو من الوسط الطلابي ومقترباته السياسية أو الحزبية.

سادساً: دائرة الأمن الوطني؛ كجزء من وعي السكان والرأي العام المحلِّي.

سابعاً: دائرة الأمن الخارجي؛ كجزء من العالم المعاصر، عبر وسائل التعليم أو الإعلام الفضائي أو الاتصال؛ كالإنترنيت أو السفر أو العمل في إحدى المؤسسات ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة.

وهناك دائرة أخرى أهم من جميع الدوائر السبع، وهي **دائرة الأمن الذاتي للفرد**، وهذه تتكون من ثلاثة (أقفال) تتحكم بالشخصية:

١ ـ **أمن المعلومات** الخاصة (الأسرار).

٢ ـ **الأمن الشخصي** من الاستهداف المعنوي أو المادي المضاد.

٣ ـ **أمن المكان** الذي يتواجد فيه ذلك الفرد، والخشية عليه من (الغرباء).

إنَّ القدرة الذاتية على التحكّم بأقفال الشخصية، يساعد

كثيراً على توجيه الغضب إيجابياً، أو على الأقل بخسائر محدودة، في المواقف التي تتطلب تلك (التضحية) للفرد أو للجماعة، خاصة في حالات المواجهة ضدَّ الظلم وتحدِّي الصعوبات باستجابات (بطولية) على المستويين: النظري والعملي، وهذه المحصلّة لن تتكون، بادئ ذي بدء، إلا من خلال التنشئة الاجتماعية.

[١٢]
التنشئة الاجتماعية السياسية

إنَّ التنشئة الاجتماعية عموماً هي (كلّ ما يتعلّمه الفرد في مجتمعه، ومتى يتعلمه وكيف يتعلمه، والآثار الشخصية التي تترتب له على هذه العملية)[١].

ومن هنا تبدأ شخصية الفتى تتشكل... فتكون التنشئة الاجتماعية، والسياسية ثقافته وسلوكه بل وطريقة تفكيره ورؤيته لمفردات المجتمع ثمّ الحياة. وبذلك تكون هذه التنشئة العملية التي يتعرّف بها الفرد على النظام السياسي، والتي تقرر مداركه للسياسة وردود أفعاله إزاء الظاهرة السياسية بما تنطوي عليه من دراسة للوسط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وتأثير ذلك على الفرد وعلى مواقفه وقيمه السياسية في الفعل وردّ الفعل. ومن هذه الثقافة تكون السيطرة على الواقع من عدمه، من خلال النجاح بالتدريب على ممارسة الأدوار في مراحل العمر اللاحقة. ولمعرفة روافد تشكّل هذه التنشئة لا بدَّ من تحديد أهم المنظمات الوظيفية الفعالة، التي تسهم بها بشكل مباشر. وأهمها هنا العائلة الطبيعية.

---

(١) Dowse-Hughes,op.cit.P.179.

إنَّ العائلة منظمة اجتماعية، وهي المصدر الأول لتزويد الناشئة بالمعارف الاجتماعية والسياسية من خلال الأب والأم وباقي أفراد العائلة من الدرجة الأولى والثانية. . . وكلَّما كان المجتمع (بدائياً) زادت درجة التأثير، والسبب أنّ النظام الاجتماعي البسيط لا يختلف كثيراً عن النظام السياسي السلطوي؛ بل هو محصلة له كـ«فلكلور» مع قليل من «الديكور». لكن أهم تأثير يترك على ذاكرة النشء وطريقة التربية داخل العائلة، هل هي صارمة متسلطة أم ديمقراطية متضامنة؟ ومن هذه التربية ستتكون رؤية الفرد إزاء النظام والتعامل معه، عند الوصول إلى مواقع متقدمة فيه، فبموجب هذه الرؤية (المبكرة) من التربية في الأسرة يكون مفتاح التعامل المباشر مع شؤون الحياة.

إذاً: العائلة تسهم في التنشئة الاجتماعية والسياسية. وكلما تطور المجتمع ضعف التأثير العائلي، لكن لن يُلغى تحت كلّ الظروف، وسيكون البديل له المدرسة ثمَّ المعهد أو الكلية. . والحزب أو منظمة (السلطة) عبر مؤسساتها.

إنَّ الوعي طريق سليمة نحو الحريَّة، بدل التضييق والخشية من المفارقات؛ لأنَّ المفارقات على كرسي الدراسة (لا تتسبب) بخسارة تذكر كما للمفارقات التي تحصل مستقبلاً على كرسي الرئاسة حتماً. ومن هنا لا بدَّ من التنمية السياسية للجميع. وهي تنمية (تضاهي) أهمية التنمية الاقتصادية؛ لأنها استثمار في الإنسان المواطن لا في حجارة العمران ولا في حديد المصانع وزجاج مختبرات الأدوية المهدئة، التي يمكن أنْ تستورد من أفضل مصانع البلدان.

[١٣]
التنمية السياسية للفرد والمجتمع

ربما كان مفهوم التنمية السياسية للفرد والمجتمع لم يتبلور في المجتمعات المتخلفة إلا بعد مؤتمر باندونغ لعدم الانحياز سنة ١٩٥٥م. فهو مفهوم حديث النشأة في العالم الثالث، ومنه الوطن العربيّ بعد الاستقلال. وهذا المفهوم يحمل التفاعل بين رؤية العدالة الاجتماعية والصيغة السياسية من خلال دلالات العدالة الاجتماعية.

لكن بعد فشل العديد من التجارب التنموية لأسباب داخلية أو خارجية، صار الاهتمام بالنظام السياسي كبديل للبنى الاجتماعية والاقتصادية وحتى الأديولوجية المرتبطة بهذه المنظومة. وأصبح تطور النظام السياسي وقيادته للمجتمع والدولة ظاهرة (مهيمنة) على الأفراد والمؤسسات في الدولة وشؤون الحياة المختلفة. . . وظهرت التنمية السياسية، بديلاً لغيرها من التنمية. . . فظهرت الآثار على مجمل الكيان الوطني.

فما هي التنمية السياسية؟ هي حلول سياسية لأزمات مترابطة في الكيان الاجتماعي للدولة الحديثة، وبحلِّ هذه الأزمات تتكون شخصية الأفراد كأمَّة عاملة. وهذه الأزمات هي:

أولاً : أزمة الهوية الوطنيـة.
ثـــانياً: أزمة المشروعيـة.
ثـــالثاً: أزمة التغلغل الحكومي.
رابــعاً: أزمة المساهمة والاندماج.
خامساً: أزمة توزيع المنافـع.

وهنا يكون استقرار النظام السياسي مشروطاً بطريقة معالجته لهذه الأزمات لتحقيق التنمية السياسية، وتالياً التنمية الوطنية والحضارية القومية في عموم المجتمع والدولة، لتظهر الأمة الجديدة المنتجة. ولعلَّ أهم مافي هذه الرؤية، توزيع الثروات (العادل) لرفع مستوى المعيشة، وزجِّ الأفراد في العملية التنموية بعد رفع درجة الوعي الثقافي لديهم؛ للوصول إلى أفضل اندماج تنموي على مستوى الأفراد والمجتمع[1]. وربما كان الصراع اليوم بين السلطة والثورة نتيجة هذا المفهوم، كما يبدو المشهد في سورية، نظراً للأديولوجية الحزبية الحاكمة والقائدة، بموجب مواد الدستور الحاكم للدولة والمجتمع. من هنا تتشكل مكانة الأفراد من النساء والرجال في عموم الدولة.

هو تشكُّل غير منظور كبضاعة؛ لأنه داخل في سلوك الأفراد وطريقة تفكيرهم ومعاناتهم اليومية في الوطن العربيّ، تؤكد هذه الأمور المنحى المندمج، إلا أنّ الثورات تكشفه كحقائق ووثائق، وخاصة منها ما يتعلّق بشخصنة السلطة.

---

(١) الدكتور صادق الأسود، م.س، ص٢٨٩ «بتصرف».

[١٤]
شخصنة السلطة

على الرغم من أنّ تفرّد الحاكم بزمام السلطان السياسي وتوابعه ليست حالة جديدة؛ إلا أنَّ مفهوم الشخصنة السلطوية يعتبر (جديداً) في الفكر السياسي.

إنَّ السلطة المشخصنة تشير إلى حقيقة تتعلق بالمؤسسات القائمة، إذْ يركِّز شخص واحد كلَّ السلطات وكلَّ اختصاصات السيادة بين يديه، فيقود ذلك إلى اختلاط السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية بعضها ببعض، ما يؤدي إلى الاستبداد والطغيان والديكتاتورية. وبالإجمال فإنَّ الجمع بين السلطة الشخصية وبين شخصنة السلطة، حقيقة قائمة في العالم، وخاصة في العالم الثالث. وتقوم ظاهرة شخصنة السلطة على عنصرين:

الأول: موضوعي يتعلَّق بكيفية ممارسة السلطة، وهو ما يطلق عليه في علم الاجتماع السياسي (تركُّز السلطة). ومجاله (الضرورة) الوطنية والقومية.

الثاني: شخصي فردي يتعلَّق بتمثيل السلطة، وهو ما يطلق عليه (تجسيد السلطة). ومجاله الرموز والمعتقدات السياسية

والدعائية حول الحاكم. ومن هذه الشخصنة تتشكل ظاهرة عبادة الشخصية. وهناك عدة عوامل تساعد على قيام هذه الظاهرة الاجتماعية السياسية في المجتمعات المتخلفة، منها:

- اتساع حجم المجتمعات البشرية أفقياً وعمودياً، فيزداد حجم المؤيدين كما يزداد حجم المعارضين، وليس بالضرورة أنْ يظهر هذا الصراع مباشرة؛ بل له أسبابه وتوقيتاته المرتبطة بالعوامل الذاتية والموضوعية.

- التقنية المعاصرة التي تمنح الحاكم ودولته قدرات هائلة للسيطرة على مقدَّرات المجتمع، وما يرتبط به من مؤسسات الدولة الخدمية والإعلامية.

- غياب المنظمات الوسطية بين الراعي والرعية فيكون الحاكم على علاقة (دعائية) فوقية مع الناس، ما يضفي عليه هالة من التطبيل (الجارف).

- الأزمات: عندما تمرُّ الدول بأزمات كالحروب يصبح للحاكم مكانة فريدة بين شعبه باعتباره القائد والمنقذ والحامي، مما يعزِّز من سلطته ونفوذه وشخصيته؛ كمخلِّص من هذه الأزمات (الخطيرة) ضدَّ أمن البلاد والعباد، ولهذا يسعى إلى اختلاق الأزمات والأعداء.

- تأثير المؤسسات الدعائية... وما تخلقه من هالة لشخص الحاكم، خاصة في المناسبات والانتخابات، ورفعه إلى درجة (البطولة السينمائية)[1]. فماذا ترتَّب على شخصنة السلطة بعد

---

(١) الدكتور صادق الأسود، م.س، ص٣٢١.

عبادة الشخصية؟ الجواب: ظاهرة التنظيمات الفوضوية، التي عاثت وتعيث في الديار العربية: الفساد بالقتل والاغتصاب والحرق والسرقة؛ وهي فرق وكتائب: الشبيحة والبلطجية والمليشيات[1]. وهي ظاهرة سلبية خارج القانون وخارج الحضارة الإنسانية بل (انتكاسة) لأمة الحضارات الأولى إلى مرتبة شريعة الغاب. وهذه أخطر نتيجة (عملية) لهذه الأنظمة الدكتاتورية الثقيلة التي قلبت مزاج الشارع العربيّ لأغراض سلطوية ذات نظر قصير، فلا هي جاءت برؤية استراتيجية في التنمية الوطنية، إلا بقدر خاص له صلة بمكاسبهم الفردية، فقتلوا روح المجتمع المتضامن، وجعلوه شللاً متضاربة كي يبقوا هم (الشلة) الأكبر، ولا هم سمحوا للشعب ببناء وتطوير مؤسساته الحضارية لاستيعاب تنامي الثقافة السياسية الاقتصادية والمعرفية المعاصرة، التي هي سمة عصر التقنية والتواصل بين الشعوب. وهناك دلائل يومية على صدقية هذه الأوضاع التي لا تنتمي إلى القرن الحادي والعشرين الميلادي.

من هنا فالعودة إلى الجذور ليست هروباً إلى الماضي، بل إضاءة لفساد القصور، ولذلك تكون الثورة عملية (جلاء) لتدهور قيم الوطن في الحاكم الظالم الذي يتشدق بالوطنية ليل نهار، وهو الأبعد، نظرياً وعملياً عن الوطن والمواطن معاً.

---

(١) تبلغ عدد المليشيات (المعروفة) في العراق بعد الاحتلال (١٨) مجموعة في شمال ووسط وجنوب البلاد؛ أيْ: بعدد محافظاتها (١٨). أما غير المعروفة فكثيرة، لكنها أقلُّ في العدد والعدَّة.

هكذا تسود اليوم هندسة الغضب في الشارع الكبير بديلاً لهندسة الأمن والرضا في المدن التي يراها الإنسان العربيّ في روما وباريس ولندن.

وأصبحت هندسة غالبية المدن العربية المحكومة بالبطش الديكتاتوري تخضع لمزاج متعكر الانتماء، قابل للحراك والحركة والتحرّك، كلما وجد (صوتاً صادقاً صابراً) يلتف حوله. فتشابهت الحناجر رغم عدم تشابه المشاكل. والسبب ليس (وحدة) الشعب العربيّ بل (وحدة) منظومة الحكام الدكتاتوريين. فلا هم يطلقون قوانين الحريّة ولو في حدّ ما مناسب، ولا هم يدَعون الحريّة تنمو إلى أعلى كمكاسب، ولا هم يقومون بالريادة لخلق مؤسسات الحريّة الوطنية وحراستها من المتسللين الأجانب.. والحياة تمضي بقوانينها، فنجد أنَّ البنيان مهما كان محروساً بالحراب، ما يلبث أن يتصدع ويتهاوى إلى الخراب. وهم ما زالوا يعلّقون السبب على المستعمر اللعين، والشعب يردد: يا ليتهم يقتدون ببلاد هؤلاء المستعمرين.

أخيراً: لا بدَّ من التنبُّه إلى أنَّ الشعوب اليوم، ولو كانت في معظمها أميَّة فهي قادرة على التميز بين الصالح والطالح من الحكام وبطانتهم؛ لأنَّ معادلة الحقوق والواجبات الغداة، صارت ثقافة مبثوثة للعامة والخاصة، وكسب القلوب لا يقلّ صعوبة عن كسب العقول، بل هي المعركة (الكبرى) التي بدأت بين آدم وإبليس، وستبقى ما بقي في الأرض الناس.

فهي كالفطرة المكتسبة، لا تحتاج إلى تعليم وإعلام؛ بل إلى صدق مواقف الرجال، والصدق منجاة للحاكم والمحكوم؛ لأنَّ (لعبة) المرايا العاكسة التي ابتدعها فرعون إلى زوال. فهو ليس عصر الحكام ولا عصر (الجماهير)؛ بل عصر المعرفة والحقيقة التي لا تغطى بغربال.

من هنا ضرورة ابتداع عقد اجتماعي (عربيّ) بين الحاكم العادل والرعية، يتناسب مع عصرالحقيقة قبل فوات الأوان؛ لأنَّ طبيعة (المُلك) الظالم إلى زوال.

ولو تدبَّرنا شخصية المواطن العربيّ، الأميّ والمثقف، قياساً إلى المواطن الأوربي، مثلاً، فإنَّ مطالب المواطن العربيّ (بسيطة)، وهو قانع لا يميل إلى الفوضى (مجاناً) إلا عند المساس بكرامته، أو بحريته، أو بدينه. رغم أنّ هذا المواطن أكثر من غيره في العالم، يمتلك أدق بوصلة ذاتية يستشعر بها الاتجاهات الزمانية والمكانية والسلطوية، بسبب التجربة التاريخية في الأمة.

وتأسيساً على كلِّ ما سبق، فإنَّ الغضب اليوم في الشارع العربيّ سيتمخض عن (عقد اجتماعي) جديد، ومهما كان الحاكم فردياً، سيسعى لمراعاة غضب الشعب بنسبة عكسية، مقارنة (بأسلافه) الديكتاتوريين، من ذرّية نمرود وفرعون.

إذاً: الشارع العربيّ حوّل (ألوان) الإشارة المرورية إلى ثلاثة ألوان جديدة:

ـ الأخضر للمرور الآمن في الانتخابات.

- الأصفر للتنبيه على الخطأ والفساد.
- الأحمر ليغضب ويصرخ: الشعب يريد إسقاط النظام.

ولقد ابتكر هذا الشعب لوناً إضافياً هو (الأبيض) للمبادرة في حماية النظام العادل مع الشعب، من التحديات والمخاطر الداخلية والخارجية، قبل جنود وحرس القصر.

الخاتمة والتوصيات[1]

من المعلوم أنّ الأزمات الخطيرة تواجه بثلاثة اجراءات: سابقة للأزمة، أو مرافقة لها، أو لاحقة عليها. وإرهاصات

(١) قالت منظمة العمل الدولية http://www.aljazeera.net/NR/exeres/ 1258F155-2934-4E05-967C-13B55BD680A5
إنَّ أغلب دول العالم تواجه آفاقاً قاتمة مع ارتفاع معدل البطالة بين الشباب خلال السنوات المقبلة، لا سيما في المنطقة العربية التي تصنف تحت اسم دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط، حيث توقعت المنظمة في تقرير لها (في أيلول/سبتمبر ٢٠١٢م) أنْ ترتفع البطالة في الشرق الأوسط من ٩,٩٪ في ٢٠١١م إلى ١٠,١٪ في ٢٠١٢م ثم ١٠,٢٪ في العام ٢٠١٣م. وسيناهز معدل البطالة في دول شمال أفريقيا ١٠,٨٪ خلال عام ٢٠١٢م بعدما كان بحدود ١٠,٦٪ عام ٢٠١١م، وتتوقع منظمة العمل الدولية أنْ يرتفع الرقم إلى ١٠,٩٪ في سنة ٢٠١٣م، غير أن توقعات المنظمة تشير إلى أنَّ البطالة في دول شمال أفريقيا ستنخفض إلى ١٠,٤٪ بحلول العام ٢٠١٧م، في حين سترتفع في دول الشرق الأوسط إلى ١٠,٤٪ في العام نفسه. وترتفع معدلات البطالة لدى فئة الشباب العربيّ الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٣ عاماً، إذ سترتفع في دول شمال أفريقيا من ٢٧,١٪ في ٢٠١١م إلى ٢٧,٥٪ في ٢٠١٢م، ثم تزيد إلى ٢٧,٦٪ في ٢٠١٣م، وفي دول الشرق الأوسط كانت البطالة عام ٢٠١١م بحدود ٢٥,٧٪ وارتفعت إلى ٢٦,٤٪ عام ٢٠١٢م، ثمَّ ستواصل ارتفاعها في ٢٠١٣م لتصل إلى ٢٧٪.

الصراع بين السلطة والمعارضة لتجنب أصل الصراع، لا يجدي بها إلا الاجراءات السابقة.. كي نحفظ الوطن والمواطن معاً، وهذا ما يدعونا إلى اقتراح التوصيات الآتية:

١ ـ احترموا حقوق الشعب بصدق، يحترم الشعب واجبات الحاكم بالحقِّ.

٢ ـ إنَّ عدوى (المعارضة) تظهر في الموضع الرخو من الموقع الجغرافي الصلد. وغالباً لا تنتقل هكذا من موضع إلى آخر لمجرد المجاورة القومية، وذاك لتباين أحوال الناس النفسية والاجتماعية والاقتصادية بين الأنظمة الحاكمة، وهذه من حقائق السياسة العملية، لا من أمنيات الدعاية اللفظية. فلا تجعلوا (سحر) الإعلام يخلط على الناس المواقف والقياسات والاستقرار.

وهكذا فإنَّ العلاج (السابق) لردم الهوَّة السكيلوجية في الشارع العربيّ الغاضب الغداة، هو تجسير هذه (الهوة) بادئ ذي بدء من خلال عدد من الإجراءات:

أولاً: علاجات اقتصادية مالية تدخل إلى (جيوب) المواطنين، فهي تحقق فيهم نفسياً إحساس المشاركة الكريم بالمُلك العام... والانتماء الفاعل للدولة.

ثانياً: علاجات (أمنية شعبية) تدخل إلى (بيوت) المواطنين لتحقيق الاطمئنان من خلال عدم الاضطهاد؛ لأنَّ الناس يدركون بالذاكرة الجمعية أنّ أسوأ حاكم الذي يخشاه البريء في بيته. والحاكم يدرك كذلك أنّ القبضة الحديدية لا بدّ أنْ

ترتخي بفعل تقادم الفعل نفسه؛ لأنَّ طبيعة وقوانين الفعل تكمن في التغيير، مهما حمل من أسماء الإصلاح والتطور، القليل أو الكثير؛ لأنَّ الفعل محدود بزمن، و«بندول» الزمن (يتبدَّل) كلّ ساعة، ولا يتوقف بل يسير.

ثالثاً: مع تزايد الثروات من دون استثمار محلي. هناك ضرورة لاستيعاب جيل الشباب العربيّ الفتي (كلّ في وطنه) خاصة الذين تقع أعمارهم بين سنّ (١٨ عاماً) وسنّ (٢٨ سنة) في مشاريع عمل منتج تتلائم مع الطبيعة الجديدة للمجتمع، وقبلها في استراتيجية مناهج التربية والتعليم، وفي خطط وبرامج الإعلام.

رابعاً: الاتقاء من الحركات الطفيلية التي تتسلل إلى داخل سياج الثورة، فتسرق تضحيات الشعب باسم الديمقراطية أو الدِّين. فهذا نوع من الثورة المضادة للحاضر والمستقبل وبخاصة من التنظيمات السياسية المتسترة باسم الدِّين، التي تؤمن بالديمقراطية لمرة واحدة فقط، حتى تصل هي إلى السلطة فتلغي الحرية عن الآخرين لاحقاً بغطاء التخوين والخروج عن الشريعة وعن المجتمع المؤمن وغيرها، وبذلك يتم الانقلاب على قواعد اللعبة الديمقراطية بالغوغائية الشعبية وافتعال الأزمات، وتغيّر هذه القواعد لتعود إلى الإطار الديكتاتوري الذي هو حقيقة البرامج والمنهج والنظام الداخلي للحركات السياسية المتسترة باسم الدّين، قبل وصولها إلى السلطة بالخداع...

خامسا: لا تجعلوا من برامج التلفزيون الدرامية والرياضية والغنائية (تعويضاً) لامتصاص الغضب الذي تزيده اللامبالاة الموجَّهة، التي يراها الناس (خداعاً) لا حلّاً يليق بالكرامة العامة، وبحقوق الإنسان الخاصة.

سادساً: أيها المسؤولون: تذكروا أنَّ الرعية لديها القدرة على الصبر ولكن للصبر حدوداً، فلا تنخدعوا بمظاهر الصمت طويلاً، فإنْ (الغضب)[1] طاقة مستترة؛ كالجمر تحت الرماد... لعن الله من أيقظه من الرقاد.

---

(١) لقد وردت مفردة الغضب في القرآن (١٢) مرة، (٩) منها بشأن اليهود، و(٣) لبقية الناس.
ينظر: محمد سعيد اللحام: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٦، بيروت، دارالمعرفة، ٢٠٠٨م، ص٧٠٤.

المصادر

١ ـ إحسان حقي: علم الفراسة أسرار الخلقة وإبداعها، بيروت، دار النفائس للنشر، ١٩٨٦م.

٢ ـ جان فرنسوا دورتيه: معجم العلوم الإنسانية، ترجمة الدكتور جورج كتورة، مشروع كلمة (أبوظبي) والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م.

٣ ـ جمال البدري: فيزياء وكيمياء الشخصية الفردية والجماعية، بيروت، دار النفائس للنشر، ٢٠١٠م.

٤ ـ حامد ربيع: الحرب النفسية في الوطن العربيّ، بغداد، دار واسط للنشر، ١٩٨٩م.

٥ ـ روبرت آدري: كتاب الإقليم، لندن، منشورات ستوك. (بلا تاريخ).

٦ ـ روبرت غرين: كيف تمسك بزمام القوة؟ الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م، ترجمة محمد البجيرمي.

٧ ـ ريكان إبراهيم: علم النفس والتاريخ، بغداد، دارالشؤون الثقافية، ١٩٨٨م.

٨ ـ ريكان إبراهيم: النفس والعدوان، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧م.

٩ ـ سليمان صالح: وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، دولة الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح، ٢٠٠٥م.

١٠ ـ صادق الأسود: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة بغداد، ١٩٨٦م.

١١ ـ عبد الإله مصطفى: تحليل لغة الدعاية، بغداد، مكتبة الشرق، ١٩٨٧م.

١٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة...طبعة الأولى، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨م.

١٣ ـ علي عجوة: العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة عالم الكتب، ١٩٩٧م.

١٤ ـ فخري الدباغ: غسل الدماغ، بيروت، دار الطليعة للنشر، ١٩٨٢م.

١٥ ـ مجلة النشرة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عدد ٩ خريف ١٩٩٨م، عمان، الأردن، دراسة في الطائفة والطائفية، الدكتور جمال البدري.

١٦ ـ محمد سعيد اللحام: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٦، بيروت دار المعرفة، ٢٠٠٨م.

١٧ ـ هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام، ألمانيا، منشورات الجمل، ٢٠٠٣م، ترجمة رائد الباش.

D.Hudson, Sociolinguistics, Cambridge Univ, London,1980. _ ١٨

Dowse,Robert E.and Hughes John A.Political Sociology. _ ١٩
John Wiley and Sons press, London.1972.

Blackwell Taylor.Land Willis.A; Publishers inc; 1999. _ ٢٠
Media Studies; Oxford.

Real.M.Michael; Super Media; London: Sage Publication _ ٢١
1989.

المحتوى

الموضوع	الصفحة

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم: 63882



مؤلف الكتاب

❖ **الدكتور جمال البدري:**

- مواليد مدينة سامراء ـ العراق سنة ١٩٥٧م.
- تخرج من جامعة بغداد سنة ١٩٨٠م.
- درس الماجستير بموضوع الأحزاب الدينية الإسرائيلية المعاصرة.
- حصل على الدكتوراه بموضوع الجماعات الدينية الإسلامية المعاصرة (دراسة في فلسفة التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث) ونال درجة الشرف الأولى.
- عمل باحثاً علمياً في عدة وزارات.
- ألّف أكثر من عشرين كتاباً في التاريخ والفكر السياسي والحضاري، ونشرت له دار النفائس ـ بيروت كتاب: «فيزياء وكيمياء الشخصية».
- له عدد كبير من المقالات والدراسات نشرت في الصحف والمجلات.
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب والمؤرخين العرب.
- يعمل حالياً باحثاً في اتحاد المؤرخين العرب في بغداد، واستاذاً جامعياً.



لا يهمُّ ما يطلق الناس على الزلزال الذي يجتاح معظم العالم العربي. المهمُّ أن الشارع العربي، الكابت غضبه منذ مدَّة طويلة، انفجر كالبركان الثائر، وبدأت حممه تقضي على الأخضر واليابس، وتتلف البشر والحجر.

في هذا الكتاب يحاول الباحث فتح باب الدراسات العلميَّة المعمَّقة لظاهرة الغضب، التي تجتاح الشارع العربي وتغطّي معظم فضائه.

وهذه الدراسة علميَّة بحتة، تتناول علم نفس الغضب، وعوامل التحرُّك أو الانفجار الداخليَّة والخارجيَّة، وهندسة الشارع الغاضب، وكيفيَّة تحرُّكه، ودور يوم الجمعة في الحشد، وأسباب ما يطلق على كل جمعة من شعارات، لزيادة أعداد المحتشدين في الساحات وفي المظاهرات، وكيفية تنظيم المسيرات، والصراع الإعلامي وأثره على المتلقّين.. وغير ذلك من الأمور التي تختصُّ بما سُمّي «الربيع العربي».

وربما كان هذا البحث أوَّل محاولة علميَّة لدراسة ما يحصل في بلاد العرب من غضب يثير الدهشة، ويستحقُّ البحث والتأمُّل والعبرة.

ISBN 978-9953-18-509-5
9 789953 185095

56
gh